الفنون

تشرين الثاني

الجزء السادس   السنة الثانية

AL-FUNOON

AN ARABIC REVIEW OF LITERATURE AND ARTS

Published Monthly by

Al-Funoon Publishing Co.

55 Broadway,

New York

ANNUAL SUBSCRIPTION $5.00

OCTOBER 1916

VOL. II   **NO. 5**

"Entered as second class - matter June 16, 1916, at the Post Office at New York, New York, under the act of March 3, 1879"

مجلة الفنون

معرض فنون وأدب

تنشر المنتخب من أدب الافرنج والعرب

محتويات الجزء

الصور المطبوعة على حدة

شقاء الامهات = للمصور كارتر في جريدة الصن النيويوركية

النساء يدفعن أَبهظ الاثمان فيّ سُوق الشقاء

مات اهلي

﴿ لجبران خليل جبران ﴾

***

مات اهلي وانا قيد الحياة اندب اهلي في وحدتي وانفرادي

مات احبائي وقد اصبحت حياتي بعدهم بعض مصابي بهم

مات اهلي واحبائي وغمرت الدموع والدماء هضبات بلادي وانا ههنا اعيش مثلما كنت عائشاً عندما كان اهلي واحبائي جالسين عَلَى منكبي الحياة وهضبات بلادي مغمورة بنور الشمس ·

مات اهلي جائعين ، ومن لم يمت منهم جوعاً قضى بحد السيف ، وانا في هذه البلاد القصية أسير بين قوم فرحين مغبوطين يتناولون المآكل الشهية والمشارب الطيبة وينامون عَلَى الاسرَّة الناعمة ويضحكون للايام والايام تضحك لهم ·

مات اهلي أذل ميتة ، وانا ههنا اعيش في رغد وسلام · وهذه هي المأساة المستتبة عَلَى مسرح نفسي ·

لو كنت جائعاً بين اهلي الجائعين ، مضطهداً بين قومي المضطهدين لكانت الايام أخف وطأة عَلَى صدري ، والليالي أقل سواداً امام عينيّ ، لان من يشارك اهله بالاسى والشدة يشعر بتلك التعزية العلوية التي يولدها الاستشهاد ، بل يفتخر بنفسه لانه يموت بريئاً مع الابرياء

ولكني لست مع قومي الجائعين ، المضطهدين ، السائرين في موكب الموت نحو مجد الاستشهاد ، بل انا ههنا وراء البحار السبعة أعيش في ظل الطمأنينة وخمول السلامة . انا ههنا بعيد عن النكبة والمنكوبين ولا استطيع ان افتخر بشيء حتى ولا بدموعي

وماذا عسى يقدر المنفي البعيد ان يفعل لاهله الجائعين

ليت شعري ، ماذا ينفع ندب الشاعر ونواحه !

لو كنت سنبلة من القمح نابتة في تربة بلادي لكان الطفل الجائع يلتقطني ويزيل بحباتي يد الموت عن نفسه

لو كنت ثمرة يانعة في بساتين بلادي لكانت المرأة الجائعة تتناولني وتقضمني طعاماً .

لو كنت طائراً في فضاء بلادي لكان الرجل الجائع يصطادني ويزيل بجسدي ظلّ القبر عن جسده

ولكن ، واحر قلباه ، لست بسنبلة من القمح في سهول سوريا ، ولا بثمرة يانعة في اودية لبنان . وهذه هي نكبتي . هذه هي نكبتي الصامتة التي تجعلني حقيراً امام نفسي وأمام اشباح الليل .

هذه هي المأساة الموجعة التي تعقد لساني وتكبل يديّ ثم توقفني بلا عزم ، ولا ارادة ، ولا عمل .

. . . . .

يقولون لي -- ما نكبة بلادك سوى جزء من نكبة العالم ، وما الدموع والدماء التي هرقت في بلادك سوى قطرات من نهر الدماء والدموع المتدفق ليلاً ونهاراً في اودية الارض وسهولها

نعم . ولكن نكبة بلادي نكبة خرساء -- نكبة بلادي جريمة حبلت بها رؤوس الافاعي والثعابين -- نكبة بلادي مأساة بغير اناشيد ولا مشاهد

لو ثار قومي عَلَى حكامهم الطغاة وماتوا جميعاً متمردين لقلت ان الموت في سبيل الحرية لاشرف من الحياة في ظلال الاستسلام . ومن يعتنق الابدية والسيف في يده كان خالداً بخلود الحق

لو اشتركت امتي بحرب الامم وانقرضت عن بكرة ابيها في ساحة القتال لقلت هي العاصفة الهوجاء تهصر بعزمها الاغصان الخضراء واليابسة معاً ، والموت تحت اقدام العواصف لاشرف منه بين ذراعي الشيخوخة

ولو زلزلت الارض زلزالها وقلبت ظهر بلادي صدراً وغمر التراب اهلي واحبائي لقلت هي النواميس الخفية تتحرك بمشيئة قوة فوق قوى البشر فمن الجهالة ان نحاول ادراك اسرارها وخفاياها .

ولكن لم يمت اهلي متمردين ، ولا هلكوا محاربين ، ولا زعزع الزلزال بلادهم فانقرضوا مستسلمين .

مات اهلي عَلَى الصليب

ماتوا واكفهم ممدودة نحو الشرق والغرب وعيونهم محدقة بسواد الفضاء

ماتوا صامتين لان آذان البشرية قد أغلقت دون صراخهم

ماتوا لانهم لم يحبوا اعداءهم كالجبناء ، ولم يكرهوا محبيهم كالجاحدين

ماتوا لانهم لم يكونوا مجرمين

ماتوا لانهم لم يظلموا الظالمين

ماتوا لانهم كانوا مسالمين

ماتوا جوعاً في الارض التي تدر لبناً وعسلاً

ماتوا لان الثعبان الجهنمي قد ألتهم كل ما في حقولهم من المواشي، وما في اهرائهم من الاقوات ·

ماتوا لان الافاعي ابناء الافاعي قد تنفسوا السموم في الفضاء الذي كانت تملوءه انفاس الارز وعطور الورود والياسمين

... ...

مات اهلي واهلكم ، ايها السوريون ، فماذا نستطيع ان نفعل لمن لم يمت منهم ؟

ان نواحنا لا يسد رمقهم ، ودموعنا لا تروي غليلهم

اذن ماذا نفعل لننقذهم من الجوع والشدة ؟

هل نبقى مرتابين ، مترددين ، متكاسلين ، مشغولين عن المأساة العظمى بتوافه الحياة وصغائرها ؟

ان العاطفة التي تجعلك ، يا اخي السوري ، ان تعطي شيئاً من حياتك لمن يكاد ان يفقد حياته هي هي الامر الوحيد الذي يجعلك حرياً بنور النهار وهدوء الليل ·

وان الدرهم الذي تضعه في اليد الفارغة الممدودة اليك هو هو الحلقة الذهبية التي تصل ما فيك من البشرية بما فوق البشرية

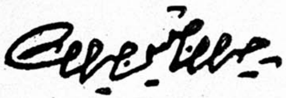

لا تستحي من اعطاء القليل فان الحرمان أقل منه ·

(علي بن ابي طالب)

اذكر انك مديون لليتيم والعاري والجائع ·

(پليشييف)

الجائعة المستعطية

لجبران خليل جبران

مهرجان الموت

لميخائيل نعيمه

* * *

كانت الساعة التاسعة من الليل . وكان المطر الذي هطل طول النهار السابق قد كف . لكن السماء ما زالت ملتحفة بغيوم كثيفة سوداء تخترقها بين المدة والاخرى ، هنا وهناك ، اشعة نجم ضئيلة ، ثم يختفي النجم وتعود الغيوم فيلتصق بعضها ببعض سابحة على مهلها في الفضاء الواسع كامواج اوقيانوس لا بدء له ولا نهاية . لو دخل القرية غريب في مثل تلك الساعة لتعذر عليه ان يجد فيها اثراً للحياة على الاطلاق ولظن بيوتها الراقدة على ظهر الارض تحت جنح الليل مدافن او صخوراً قذفتها الجبال المجاورة من اجوافها . لا نباح كلب ولا عواء ذئب ولا مواء هرة ولا صوت بشري — سكينة عميقة خرساء لا تحركها سوى هبات نسمات لطيفة من ريح حزيران تمر باشجار التوت فتنفض عن اوراقها دموع السحاب المستترة بين ضلوعها فتنحدر هذه القطرات من ورقة الى ورقة حتى يخيل للسامع ان السماء عادت ففتحت انابيبها .

في مثل تلك الساعة كان شبح يسير بين اشجار التوت المحيطة بدار غنية ذات ثلاث طبقات منفردة على طرف القرية ، جدرانها بيضاء وسطحها

مغطى بالاجر الاحمر · تلك دار موسى السحتوتي — اغنى رجل في كل القرية · وُلد فقيراً فجمع بالتقتير والاحتيال الوفاً من المال واقتنى املاكاً واسعة ، يتمتع بها الآن وحده ، فاعطته نفوذاً في القرية كنفوذ سلطان مطلق · الشبح كان يسير موجهاً خطاه نحو باب هذه الدار الشرقي · يمشي ولا يسمع لخطاه وقع عَلَى الارض الرطبة · لكنه ، لشدة الظلام ، كان يعثر بجذوع الشجر واغصانها فيقع ويقوم متمتماً ويكسر ما تصل اليه يداه من الاغصان التي كانت تشتبك تارة بشعر رأسه فتطرحه الى الوراء واخرى تضربه عَلَى وجهه فتكاد تدميه او تعدمه بصره ·

وصل الشبح اخيراً الى اسفل الدرج الشرقي فتسلقه الى ان وصل الى باب الطبقة الثانية ، حيث كان رب البيت ساكناً · شرفات الدار كانت كلها مقفلة ولا اثر فيها للنور · وقف الشبح قليلاً ليستريح من عناء سيره ثم اخذ مطرقة عَلَى الباب بهيأة يد قابضة عَلَى تفاحة وطرق مرة وعاد يستريح · صوت طرقه حرّك السكينة الميتة حواليه فاعترته قشعريرة · لكنه تغلب عَلَى خوفه واذ لم يسمع جواباً طرق ثانية وثالثة بعنف اكثر من الاول لكن الباب الكبير امامه لم يتحرك · ولما كاد ان يعتريه اليأس اخذ المطرقة وبدأ يضرب عَلَى الباب ، كحداد عَلَى سندانه ، الى ان طرق اذنيه وقع خطوات عَلَى بلاط الدار داخلاً ثم صوت سعال متقطع

— مِين ? قح — قح — قح ···

فاجاب الشبح بصوت ضعيف فيه خوف واشمئزاز و كبرياء ووجع

— هذا انا ··· انا — سليمة · — فانقطع السعال داخلاً وجاء بعده سوءال جديد

— أيّا سليمه ?

— سليمه — ألم تعد تعرف سليمه ? — سليمه نجار ···

وللحال قلقل المفتاح الحديدي في القفل وانفتح الباب فخرجت منه رزمة اشعة نحيلة من شمعة كان يحملها صاحب البيت في يده انارت بعض اغصان التوت الملاصقة للدرج · مرّت هبة ريح خفيفة فألتوى نور الشمعة يميناً ويساراً حتى كاد ان ينطفىء لو لم يتدارك موسى الامر ويغلق الباب بسرعة آخذاً بيد زائرته وجاذباً اياها الى الداخل

— اهلاً وسهلاً · اهلاً وسهلاً بزين العابدين · ايقظتني من حلم لطيف فكانت يقظتي ألذ من حلمي · فكري كان يدلني انكِ ستعودين وتندمين عَلَى ما فعلتِ وتقبلين بما عرضته عليكِ · ويسرني ان فكري لم يخدعني وان عقلك قد عاد الى رأسك · هه — هه — هه · انتنّ النساء — اطواركنّ غريبة عجيبة · تتقلبن في النهار القصير الف مرة · ولكنكنّ ، في اكثر الاحيان ، ترجعن الى السراط المستقيم · هه — هه — هه ·

سليمة بقيت جامدة وراء الباب كأن رجليها التصقتا بالارض و كأنها ندمت عَلَى مجيئها واخذت تبحث في عقلها عن حيلة تتخلص بها من المأزق الذي رمت فيه نفسها · تلك لم تكن اول مرة وقفت فيها وجهاً لوجه مع موسى السحتوتي وحدثته · لكنها كانت اول مرة رأته فيها عَلَى تلك الحالة ·

منظر محدثها ارسل قشعريرة في كل جسمها و كلماته كانت تكتنف قلبها كطوق من الجليد فيبرد الدم في عروقها وتكاد تنسى الغاية التي جاءت لاجلها · رأت امامها شبه رجل في قميص نوم فيها كل ألوان قوس القزح · اطراف قميصه تصل الى تحت ركبتيه بقيراطين وما بقي من رجليه العاريتين الخاليتين من اثر الشعر فكان مكشوفاً · قميصه كانت مفتوحة كذلك على صدره من عنقه حتى ما فوق سرته بقليل ، تبان من تحتها اضلعه المقوسة كأنها هيكل عظام مغطى بجلد رقيق مدبوغ · ذقنه مزدوج واسع يكاد يبلغ حجمه حجم كل وجهه الناشف الشاحب · شفته السفلى قد تدلت الى نصف ذقنه · وشفته العليا لم تستر كل اسنانه الصفراء · عَلَى طرفيها عدة شعرات خشنة سوداء بعضها قد اتجه الى فوق والبعض ألتوى الى اسفل · عيناه صغيرتان مدورتان ، اختلط فيهما لون الرماد والزفت والزعفران ، تدوران بين اجفانهما المتجعدة كنقطتين من الزئبق · وفي هذه الدقيقة التي نتكلم عنها كانتا تحاولان ان تنظرا الى الزائرة بلطف وابتسام لكنهما بدل اللطف كانتا تنظران بجشع شهواني كما ينظر الهر الى الفارة وقد وثق ان لا مناص لفريسته من بين اظافره · فوق نقطتي الزئبق امتدّ خطان عينتهما الطبيعة ان يكونا حاجبين لكنها لم تتم مشروعها فلم تزينهما بشعر عَلَى الاطلاق · اما جبهته ، التي كانت في صغره اضيق من طريق نملة فقد اتصلت اليوم بقسم كبير من جمجمته التي عرّتها السنون من كل زينة الشباب والرجولية · رأسه المسطح من الوراء والامام لا شعر عليه سوى قليل فوق

اذنيه ورقبته · وهذه الصورة البشرية كلها ولم يكن طولها يزيد عَلَى الذراع والنصف ، كانت واقفة عَلَى قبقاب خشبي عالٍ تنظر عَلَى ضوء الشمعة في يدها الى وجه زائرتها الواقفة امامها كأن رجليها قد سمرتا الى الارض

بعد ان نظر موسى السحتوتي ملياً الى وجه سليمة لم يتمالك من ان يهتف بصوت غير صوته العادي

— مالي ارى الورد في وجه حبيبتي زين العابدين قد ذبل ؟ هه — هه — هه · هل طرأ عَلَى زين العابدين مرض في هذه الايام ؟ — السحتوتي تعجب حقيقة لما رأى اصفرار وجه سليمة و كان يعهد ذاك الوجه نضراً كورد ايار · اما الان فقد زاد اصفراره تأثيراً وعظمة ما رآه من ذبول عينيها السوداوين وعمق الام الروح التي ارتسمت فيهما كلجة بحر لا قياس له · كل خط من خطوط وجهها الجميل كان مرآة تنعكس فيها آلام نفسها ، والمنديل الذي عصبت به رأسها مع الفسطان الاسود البالي الذي سترت به جسمها النحيل لم يكونا سوى شاهدين خارجيين عَلَى اوجاع قلبها الداخلية · شعرها الاسود وعصابتها السوداء وثوبها الاسود البالي وضوء الشمعة الضئيل في يد السحتوتي جعلت سليمة تبان كراهبة منقطعة عن العالم او كشبح زار هذه الارض وهو ليس من سكانها ·

لكن هذا المنظر لم يكن ليوءثر بقلب موسى السحتوتي الذي اخذ بيد سليمة بشدة كأنه اراد ان يجرها وراءه قسراً ·

— تعالي معي يا حسناء الى غرفة النوم فالسرير مُعد لاجلك من زمان

أما قلت لكِ اني احبك كما احب اموالي وارزاقي ؟ تعالي يا حسناء !
تعالي · هه · هه · هه ·

سليمة جذبت يدها من يده بلطف لكن صدرها المرتفع والمنخفض بسرعة كان يعبر بوضاحة عن العاصفة التي كانت تجيش في صدرها · مع ذلك تمكنت من ان تجيب بصوت منخفض

— ألا ترى اني حافية الرجلين ؟ اخاف ان اوسخ ارض دارك الجميلة ·

أمال موسى الشمعة في يده الى اسفل ونظر الى رجلي سليمة فرآهما عاريتين مغطاتين بالاوحال · — وبعد سكوت قصير عادت سليمة الى الكلام وصوتها مضطرب اكثر من الاول

— موسى افندي ! موسى افندي ! اخي يموت وانت قادر ان تنشله من بين مخالب الموت · اخي يموت جوعاً — ورغيف خبز يرده الى الحياة · وعندك كثير من الخبز — فهلاً تجود عليَّ برغيف ؟ — لماذا تطلب لرغيفك ثمناً ليس في طاقتي دفعه ؟ لما كان لم يزل عندنا قليل من الارزاق كنا نبيعك اياها ونقتات بثمنها · والان ارزاقنا كلها اصبحت في يدك · — البيت الذي نسكنه الان مرهون عندك · لم يبقَ عندنا شيء للبيع · وما بقي لا يشتريه احد · البارحة بعت حذائي — وهذا آخر ما كان عندي · الحكومة اخذت البقرة الاخيرة التي كان حليبها يرد عنا بعض الجوع · ابي مات — وانت تعرف كيف مات · مات جوعاً لانه انقطع عن الاكل كي لا يموت اولاده امام عينيه · كان في وسعك ان تنجيه فلم تفعل · طلبتَ مني ان

ابيعك نفسي لقاء قليل من الخبز لابي — فلم ارضَ لان ابي لو درى بذلك لفضل الموت عَلَى عار ابنته · اخذه الموت قبل ان يأخذني · امي مفلوجة لا تقدر الا عَلَى البكاء · اختي الصغيرة تقضي نهارها في جمع الاعشاب في البراري · واخي بطرس ··· (هنا اجهشت سليمة بالبكاء) اخي بطرس

— انت تعرفه — فرخ لم يكتسِ بعد بالريش · لما مات ابي لم يوصني سوى به · قال لي · « ديري بالك لخيك يا بنتي ··· ما ليش عندك وصية الا هو » ابي كان لا يحلف الا باسمه · بطرس كان عنده الكل بالكل · اوصاني به — وماذا اقدر ان افعل ؟ ··· قل لي — ماذا اقدر ان افعل ؟ من اين آتيه بقوت الحياة ؟ انا كبيرة اقدر ان احتمل الجوع يوماً ويومين وثلاثة

— فكيف يحتمل الجوع يوماً جسمه الصغير ؟ الجوع يحصد الناس من حواليَّ شيوخاً واطفالاً ، رجالاً ونساء ، مات من هم اقدر مني واغنى مني · فماذا اقدر ان افعل انا — ماذا تقدر ان تفعل ابنة ضعيفة مثلي ؟ أمس عثرت عَلَى غراب ميت قرب الساقية · رفعته بيدي فكدت اقع مغشية عليَّ من رائحته المنتنة · طرحته بين الادغال وذهبت الى البيت فوجدت امي تبكي واختي تبكي واخي ملقى عَلَى الارض فظننته ميتاً · رفعته بين ذراعي وضممته الى صدري ففتح عينيه الذابلتين ونظر اليَّ فكدت ارى في تلك النظرة روحه التي تفارق جسده · ثم فتح شفتيه الصغيرتين وقد فارقتهما آخر قطرة من الدم وقال · « اختي ··· بدي آكل ··· » وظلَّ يردد « اختي بدي آكل ··· » حتى انقطع صوته من الضعف وعاد الى الغيبوبة · كلماته

احترقت قلبي كخناجر . وضعته من بين يديَّ علَى الارض وركضت كالمجنونة الى حيث تركت الغراب الميت . اخذت الغراب وطبخته واطعمت اخي من لحمه . عادت روحه اليه وابتسم قليلاً ثم اطبق عينيه وانغمس في غيبوبة جديدة . تركته في غيبوبته وخرجت اسأل عن رغيف خبز فلم اجد . من عنده كسرة خبز يضن بها علَى سواه ويحفظها لنفسه او لعياله . ومن ليس عنده يقتات بالاعشاب ويموت . انت لا عيال عندك يا موسى افندي — انت تقول انك تقدر ان تطعم هذه القرية كلها لسنة من مالك وغلال ارزاقك . فهلاَّ تخلص حياة اخي لمجد الله ؟ ربما قدرت ان اكافئك في المستقبل وان لم اقدر فالله يكافئك عني ... لماذا تطلب مني ثمناً انت تعرف اني لا اقدر علَى دفعه ؟ انت تعلم اني مخطوبة لشاب احبه اكثر من حياتي واعرف انه يحبني . انت تعرف اني انتظر رجوعه من بيروت من ساعة الى ساعة وانه لو كان هنا لما اضطررت ان اطرح نفسي علَى معروفك — فلماذا تطلب مني ان أفسخ خطبتي واقترن بك ؟ انت رجل غني وجيه ، وانا ابنة فقيرة حقيرة . عمرك ٤٠ سنة وعمري ١٨ سنة فقط . حتى لو قبلت ان اقترن بك تكون حياتنا مرة شقية . وانت تعرف ذلك — فهل تطلب الشقاء لي ولنفسك ؟ انا لا احبك ولا اقدر ان احبك ، وانت تعرف ذلك ايضاً — فلماذا تطلب المستحيل ؟ — مع ذلك فهل هذا الوقت وقت زواج وطلاق ؟ هذا وقت موت . وقت حرب الموت والحياة . اخي يموت ، وان مات اخي فسأموت انا بعده في الساعة نفسها — فهلاَّ تخلصني وتخلص اخي وانت

قادر ان تفعل ذلك بدون خسارة وتضحية ؟ دعني انا وشأني . دعني امت . دعني اضمحل — لكن حلفتك بربك ، ان كنت تعبد رباً ، وباعز ما عندك ان كان عندك عزيز ، ان تنجي اخي من الموت جوعاً .... انت انسان وفيك قلب بشري — فهلاَّ تحرك قلبك الرأفة بالبائسين والتعساء ؟ — ارحم بربك يا موسى افندي ! مالك ولي انا ؟ ماذا تطلب فيَّ وفي جسمي ؟ ألا تراني واقفة امامك كشبح من القبور — فماذا تطلب من هذا الجسم النحيل عندك ذهبك وفضتك واملاكك تغنيك عن ملذات العالم كلها — فماذا تطلب من هذا الوجه الشاحب وهذا الصدر الذي يملوءه الهم والحزن ؟ لماذا تطلب مني ان اقضي معك ليلة في فراشك — لماذا تحب ان تسلبني عفافي وانت تعرف اني احفظه لسواك ؟ لماذا تطلب مني ان ابيع شرفي — لا بل ان ابيع نفسي — برغيف من الخبز ؟ لو كانت حياة اخي في موتي لما تأخرت لحظة عن اقتبال الموت — لكنني اكره ان اموت كما تشاءني انت ان اموت — مغطاة بالعار والفضيحة . لاني لو سلمتك نفسي لما قدرت ان اعيش نهاراً واحداً بعد ذلك — فعلى من اترك اخي واختي وامي ؟ وماذا يكون نفعك من ذاك او نفع اخي او نفعي ؟ — انا فتاة ضعيفة يا موسى افندي وانت رجل قوي — فهلاَّ تخجل ان تستعمل كل قوتك المالية والجسدية ضد ابنة يتيمة ، فقيرة ، ضعيفة مثلي ! انت تعلم اني احب اخي اكثر من نفسي وان اخي بين ذراعي الموت في هذه الدقيقة واني لا اقدر ان احصل علَى قوت لخلاصه الا من عندك واني مستعدة ان اضحي حياتي

لاجل اخي – فهل تطاوعك نفسك ان تطلب مني ثمناً اذا دفعته فانت تعرف اني اودع معه الحياة · هلاّ تخلص غريقاً الا اذا كتب لك صكاً بحياته ؟ بالله ارحم · بالله رقّ · بالله اشفق يا موسى افنديّ ! الليل بارد مظلم · روح اخي الصغيرة تحارب الموت وهي عَلَى آخر رمق · اختي الصغيرة تبكي وتطلب اكلاً · امي المفلوجة تولول – فاعطني ما اسد به رمقهم ولك الاجر عند الله · خذني عبدة لك الى الابد – انما اعدل عما طلبت مني سابقاً · اعطني رغيفاً او اثنين ودعني ارجع من حيث اتيت · ·

كانت الكلمات تخرج من صدر سليمة متسابقة يعثر بعضها باذيال بعض حتى خنقتها العبرات فانقطع صوتها فجأة كأن لسانها التصق بحنكها · ثم اخذت تكفكف دموعها بيديها اذ لم يكن معها منديل · وموسى السحتوتي كان واقفاً يبرق بعينيه ويحك جنبيه ضاحكاً كأن سليمة كانت تمثل امامه دوراً سخرياً ·

– هه – هه – هه – ألِلي من ايده الله يزيده ! لو قبلتِ بشروطي من الاول لما مات ابوك · واذا قبلتِ الان فلا يموت اخوك ولا تموتين انتِ · وشروطي بسيطة للغاية · اما ان تتركي ابن العطار وتصيري زوجتي الشرعية او ان تنامي عندي ليلة لقاء كل رغيف تأخذينه مني · هل تطلبين قلباً ارق من قلبي بعد ؟ هه – هه – هه · اذا مات اخوك او امك او اختك من الجوع فلا تلومي سوى نفسك · حياتهم في يدك · تصرفي بها كيف شئتِ · انا احب من كل قلبي ان اساعدك واساعد اهلك اكراماً لمجد الله – جل اسمه ·

وانتِ لا تحبين – فهل اكون انا الملوم ؟ هه – هه – هه ·

سليمة لم تنبس ببنت شفة · جمدت عيناها وتشنجت اعصابها ووقفت كأنها جثة انفصلت عنها روحها · هي قد سمعت تلك الشروط من زمان · وقد فكرت فيها طويلاً حتى كادت تضيع سلطتها عَلَى افكارها · وتخيل لها مراراً انها قريبة من الجنون · تارةً تحتم عَلَى نفسها بالقبول ، فلا يطول ان تتمرد نفسها الطاهرة عليها وتسمع قلبها يردد · « كلا · كلا والف كلا ! » وطوراً تقرر في عقلها ان تتفل في وجه السحتوتي وتعانق الموت مع اهلها بشجاعة وشرف ، فيرن صوت اخيها الصغير في اذنيها · « اختي · · · بدي آكل · · · » وتعود اعصابها فترتخي وتعود اوصال قلبها تتقطع بين العزم والتردد · والان ، وهي واقفة امام السحتوتي ، تجددت نار هذه الحرب الروحية في داخلها ، وانقسمت نفسها الى مهاجم ومدافع لا يكاد واحدهما يستظهر عَلَى الاخر حتى ينقلب تيار المعركة فيتخذ المدافع خطة الهجوم والمهاجم خطة الدفاع · مرّ امامها صباها ، لما كانت تسرح وتمرح برغد وصفاء ، خالية من هموم الحياة واتعابها · رأت نفسها عَلَى مقعد المدرسة بين اترابها وخلانها فانتصبت للحال امام عينيها صورة فتى في اول العمر ، جبلته الطبيعة من طين الجمال والقوة واللطف · تذكرت ذاك الاحد من آذار ، لما خرجت برفقته وزمرة من اقرانها الى البرية لجمع الازهار · حين انفردت به بين الادغال عَلَى حافة النهر ، فعثرا هناك عَلَى بقعة يكسوها البنفسج وحين انطرحا كلاهما باقل من طرفة عين عَلَى البنفسج واخذا يقطعانه ، وحين

نظم هو باقته بذوق فائق وزين بها شعرها . وحين زينت بباقتها صدره المضطرب . وحين افاقت من تلك السكرة اللذيذة فوجدت نفسها بين ذراعيه بالقرب من بقعة البنفسج . هناك تم اعظم سر في حياتها . تبادلت مع حبيبها الوعد ان تكون له ويكون لها الى الابد . السنوات التي مرّت بعد ذلك لم تزده سوى جمال ولطف ولم تزدها سوى شغف به . تذكرت تلك الليلة التي عقدت فيها خطبتهما عقداً كنائسياً وكيف اخذت بعد ذلك تستعد للعرس . وماذا جرى بعد ذلك ؟ هل حسدتها السماء والارض عَلَى سعادتها فتحالفتا ضدها ؟ حرب وفناء وخوف وجوع وموت — هل قضت عَلَى سعادتها كذلك ؟ — كلا . هذه غيوم وقتية . ستعود الشمس فتشرق . سيعود فؤاد من بيروت . سيأتيهم بحنطة وطحين وزيت . وهناك تنتهي الحرب . فكيف يجسر هذا البهيم الواقف الآن امامها ان يطلب منها ما تصونه من زمان لفؤادها ؟ كيف يجسر ان يدنس طهارة حبها بلسانه القذر ؟ — كلا . كلا والف كلا ! سترفسه بطرف رجلها الحافية وتتفل في وجهه الذي يشبه وجه القرد اكثر من وجه الآدمي . لكن — اين فؤاد ؟ قد ذهب الى بيروت من مدة اسبوع ولم يرجع . هل حلّ به سوء لا سمح الله ؟

«اختي ... بدي آكل ... » — انتفضت سليمة كورقة هزتها الريح فلامت نفسها لانها الى تلك اللحظة لم تفكر سوى بامر سعادتها . ومن هي وما هي سعادتها ازاء الموت الذي يحصد الناس من حولها كل صباح وكل مساء ؟

هل نسيت اباها ؟ هل نسيت امها المفلوجة المطروحة في الزاوية كجثة لا اثر فيها للحياة سوى الدموع التي تسيل من عينيها الجامدتين ؟ وان نسيت امها فكيف تقدر ان تنسى اخاها واختها . فؤاد ربما لا يرجع في اسبوع او أسبوعين . والجوع لا يرحم ولا يصبر . عمها في اميركا لم يجبها الى الان عَلَى كتاب ارسلته له من نصف سنة تطلب فيه معونة مالية . فمن اين الفرج ؟ السحتوتي يقدر ان يأتيها بالفرج — لكنه يطلب المستحيل . لماذا يعطي الله خيراته لرجل كالسحتوتي ويمنعها عن المعوزين والايتام ؟ لماذا لا يجود الاغنياء بشيء من اموالهم عَلَى الفقراء في مثل هذه الايام ؟ هل تحولت قلوب الناس الى حجارة ؟ في اميركا الوف من اللبنانيين — فلماذا لا يفكرون بمن تخلف منهم في لبنان ؟ ريال واحد يدرأ الجوع عن اخيها اسبوعاً ، وربما شهراً — أفليس من يجود بهذا الريال ؟ السحتوتي قادر — لكنه يطلب هتك عرضها . وما هو عرضها — هل هو اثمن من حياة اخيها ؟ هل طهارتها اثمن من حياتها ؟ هي مستعدة ان تضحي حياتها لاجل اخيها — فلماذا لا تضحي عرضها وحياتها معاً . تخاف الفضيحة — واية فضيحة ؟ من يجسر ان يرميها بحجر اذا كانت تفعل ذلك لاجل اخيها لا لارضاء شهوات دنيئة ؟ لكن — باقة البنفسج — فؤاد — ابوها — امها — اختها — اخوها . « اختي ... بدي آكل ... »

تموجت كل هذه الافكار في رأس سليمة بلحظة واحدة فشعرت ان الارض مادت بها ، واصابها شلل عقلي ، فجمدت افكارها وتوترت اعصاب

وجهها وجحظت عيناها ·

السحتوتي كان ينظر الى وجهها ولا يشعر بشيء من العاصفة التي كانت تثور في صدرها ، فظن سكوتها الطويل قبولاً بشروطه وتأكد صحة ظنه لما نقل الشمعة من يده اليمنى الى اليسرى ثم رفع يده اليمنى وطوّق بها عنق سليمة فلم تبد اقل معارضة · حينئذٍ لم يبق عنده شك بان قد فاز بما كان يشتهيه من زمان ، وان هذه الفتاة التي كانت تعد زينة القرية ستمسي ملكه في ساعة او اقل من ساعة · لذلك ضمها الى صدره العظمي وقال باسماً ابتسامة الظافر ·

— اذن قبلت زين العابدين ان تكون زوجتي — ها ؟ ما احسن زين العابدين لما ترد عقلها الى رأسها · هه — هه — هه · كان قلبي يدمى لما كنت افتكر ان سيفوز بزين العابدين من لا يعرف قيمتها · ومن يعرف لها قيمة مثلي ؟ أليس حراماً ان يُسلم مستقبل حبيبتي الى صعلوك ، ابن زنى ، فقير ليس عَلَى جلده قميص ؟ — قال ذلك وانحنى برأسه نحو وجه سليمة قاصداً ان يقبلها فلم تشعر سليمة بنفسه المنتن عَلَى وجهها حتى جذبت نفسها فجأةً من بين ذراعيه ودفعته بعنفٍ الى الوراء ، فكاد ان يسقط الى الارض لو لم يصطدم بالحائط ، وانتصبت امامه كلبوءة فقدت شبلها · عيناها تقدحان شرراً · ثدياها يرتفعان ويهبطان · وكل نقطة من الدم في جسمها النحيل قد ركضت الى وجهها الذي كان قبل ذلك بلحظة اشد اصفراراً من الزعفران ·

— لسانك اقصر من ان يتكلم بسوءٍ عن فؤاد · ألا تعرف ان فؤاداً في فقره اشرف وارفع منك في غناك ؟ كل ارزاقك واموالك لا تساوي مسماراً في نعله · هو ملاك وانت شيطان · هو شهم وانت نذل · هو حي ولو جاع وانت ميت ولو شبعت · هو يموت لاجل الناس وانت تعيش بموتهم · تفه والف تفه عليك وعَلَى ارزاقك وأموالك وخبزك · اذا كانت الحياة لا تأتي الا عن يدك فالف سلام عَلَى الحياة والف سلام عَلَى السعادة — وما احسن الموت ! انا جئتك اطلب الخبز ليس لنفسي بل لطفل صغير تناضل روحه الموت ولم يعرف لذة الحياة بعد — لم يعرف الخير من الشر · واذا ضننت برغيف فستلقى جزاء من يدٍ اقدر من يدي · ابتعد عني ولا تدنسني بيدك ! ابتعد عني ! ابتعد عني ! —

انطرحت سليمة الى الباب وهي لا تعي عَلَى شيء · ولما وضعت يدها عَلَى قبضة الباب لتفتحه ادركت انه كان مقفلاً وان المفتاح كان مع صاحب البيت · فوقفت هنيهة وللحال مرت امام عينيها صورة اخيها الصغير الملقى عَلَى الارض · رأته يتنفس كأنه مع كل تنفسة يكاد ان يلفظ آخر انفاسه رأت وجهه الذابل الشفاف ، وعينيه المطبوقتين من الضعف ، ويديه المطويتين عَلَى بطنه الملتهب ، ثم سمعت صوته المتقطع يرن في اذنيها « اختي ... بدي آكل ... » فتذكرت انها تركته يبكي ووعدته انها خرجت لتأتيه بخبز · فانقبض قلبها حتى ضاقت انفاسها لما تصورت نفسها راجعة اليه بيدين فارغتين · فوقفت جامدة ويدها عَلَى قبضة الباب

السحتوتي بقي واقفاً مكانه ينظر ولا يتحرك ووجهه يدل عَلَى انه لم يتأثر من كل ما جرى عَلَى الاطلاق · ولما ايقن ان غضب سليمة هدأ قليلاً عاد وفتح فمه

— ألم اقل ان اطوار النساء عجيبة غريبة ? هه — هه — هه · اراكِ لا تزالين متعلقة بابن العطار · فهل قرأتِ الجريدة الاخيرة من بيروت ? لا ? اصبري ، اذن ، قليلاً حتى اقرأها لكِ ·

قال ذاك وذهب مطقطقاً بقبقابه الى غرفته ثم عاد وفي يده جريدة واقترب من سليمة قائلاً

— اسمعي اذن · هذا منقول عن بيروت الرسمية بتاريخ ٥ حزيران · « في هذا الصباح انفذ حكم الاعدام شنقاً بفوءاد العطار من بلدة ع · من لبنان بعد ان اثبتت عليه تهمة الخيانة امام المجلس العرفي في عاليه اذ وجد المجلس انه ينتمي الى جمعية تدعى « النهضة اللبنانية » التي غايتها فصل لبنان عن الدولة وجعله امارة مستقلة ·» — هذا ما جرى لحبيبك فماذا تقولين بعد ? لم ينهِ السحتوتي كلماته حتى ملأت الدار صرخة هائلة خرجت من صدر سليمة كأن رصاصة اخترقت في تلك اللحظة قلبها

— فوءاد ! ··· فوءاد ! ··· فو ··· آ ··· د ···

وقعت سليمة للحال مغشية عليها · اما موسى السحتوتي فلم يضطرب ابداً كأن ما جرى امام عينيه لم يكن من الاهمية عَلَى شيء · اقترب عَلَى مهله من سليمة المطروحة عَلَى الارض واخذها بين يديه كما يأخذ الذئب فريسته ،

ثم سار بها منحنياً فوقها الى غرفته وعيناه تضحكان

· · · · · · ·

مرَّ يومان

كانت شمس العصر تنحدر نحو البحر متوكئة عَلَى اشعتها الطويلة المنتشرة في الفضاء · حر النهار انقلب الى برودة ناعمة مخدرة · جرس كنيسة مار بطرس ، المستترة بين اشجار الصنوبر في جهة القرية الشمالية ، كان يدق « دقة حزن » · — دن — دن — دن — فتسبح تموجات هذه الانّات النحاسية فوق اكواخ القرية المتشحة بالحداد ، ثم تخترق بطون الوديان المجاورة حيث تختلط باصوات الحجال وعواء الثعالب ونقيق الضفادع وتموت معها بين شقوق الصخور الابدية الخرساء · عَلَى الطريق الموءدية الى الكنيسة يسير موكب صغير موءلف من كاهن محدودب مسن ، في يده صليب ومبخرة ، يتبعه اربعة — امرأتان وشيخ وشاب — يحملون عَلَى اكتافهم نعشاً من اغصان الحور والتوت والسنديان · في النعش جثة فتاة عليها اطمار بالية · وجهها يدل عَلَى انها قضت وفي قلبها حقد عَلَى العالم باسره · الى جانبها الايمن تمددت جثة صبي صغير عَلَى وجهه ابتسامة ملائكية · ووراء حاملي النعش كانت تتمرغ بالتراب فتاة لا يزيد سنها عَلَى الثانية عشرة · شعرها الاسود الطويل محلول ومسترسل فوق وجهها وكتفيها · عَلَى خديها الضعيفين امتزج الدمع بالتراب · رجلاها حافيتان مقرَّحتان يسيل منهما الدم هنا وهناك · هي لا تمشي ، بل تتدحرج · تنهض عَلَى ساقيها وتقفز الى فوق

ثم تهبط الى الارض كغزالة اخترقها سهم صياد . ثم تذري التراب على شعرها لاطمة رأسها ووجهها وصدرها وجبينها وناتفة شعرها بيديها الضئيلتين . صوتها قد بُحّ من كثرة الصراخ ، فهي تصيح كأن قد اخذتها يد عدو بخناقها فيشابه صياحها الخارج من صدرها المتقطع فحيح افعى لا صوت بشر .

« يا ذلي من بعدك يا سا... ...مه ! يا تعتيري ياخي... ي... ...سي.. ! يا تعتيري يا... يا اخ... تي... ! »

جرس ماربطرس ينتحب . دن — دن — دن ... في زاوية بيت من بيوت القرية المذعورة من صولة الموت عجوز مفلوجة تسكب آخر دمعة في عينيها وقد شعرت بيد الموت تطوق عنقها . وفي نيويورك لجنة تنادي « اغيثوا اهلكم يا ابناء سوريا ولبنان » فيعود اليها نداؤها كصدى صرخة في وادٍ عميق .

ميخائيل نعيمه

شهداء النكبة — — — للمصور رايماكر

(* الطاعون *)

للمصور الشهير بوكلن

يا دار!

لرشيد ايوب

لله علم الخفايا   وما تكن الطوايا
هيهات اسلو دياراً   قضيت فيها صبايا
فيها الرفاق اقاموا   ثم استحثوا المطايا
يا قلب لولا التأسي   لطرت مني شظايا
لا بد تصفو الليالي   وفي الزوايا خبايا
وانت، يا حسن صبري،   لولاك رثت قوايا
يا نجم، لو كنت تبكي،   لما بكيت سوايا
فكم سهرت الليالي   اشكو اليك هوايا
يا دار، هل فيك باق   ما بين تلك البقايا؟
حملت نفسي هموماً   كأنها حملايا
بيني وبينك بحر   تموج فيه المنايا
حرب ضروس، ولكن   احداثها في حشايا
لا طاوعتني القوافي   حتى وشلت يدايا
اذا انتضيت يراعاً   وما طعنت عدايا
فصادقي، يا دراري   وسجلي، يا برايا
حتى يجيء زمان   حر كريم السجايا
العرب فيه ملوك   والترك فيه رعايا

الجوع

لامين الريحاني

* * *

اذا نضبت في البلاد الانهار ، واستحالت السماء نحاساً حامياً ترسل اشعة شمسها نقمة وانتقاماً ، فتحرق الاشجار ، وتأكل النبات ، وتجفف الارض ، وتجعل الحقول كالصحراء ، يحدث في الناس مجاعة لا يد جانية فيها للانسان

واذا غزا الجراد زرع امة ومروجها ، يلتهم الاخضر واليابس كشمس النفود في الصيف ، فلا يترك وراءه شيئاً يصلح للغذآء ، يحدث في البلاد مجاعة لا يد اثيمة فيها للانسان .

واذا القى الوبآء في امة عصاه ، وشرع يفتك فيها فتكاً ذريعاً أوجب عليها النطاق الصحي فابعدها من خيرات الارض خارج تخومها ، قد تجهز عليها مجاعة لا يد جانية فيها للانسان

واذا كانت امة في حرب فحاصرها العدو وحبس عنها الزاد فأبت التسليم صاغرة ، قد تهلك جوعاً ، ولا ذنب في ذلك على العدو او عليها اما اذا وطأ الجيش المحاصر ارضها وأبت البقية الباقية الرضوخ والاستكانة ملحة في العصيان فقد يتخذ الفاتح التجويع طريقة للاستيلاء التام وقد يكون الذنب في ذلك عليها .

ولكن امة طائعة اوليآء امرها ، امة مخلدة الى السكينة ، امة بريئة طاهرة

الذيل ، ترباً عَلَى الضيم، صبورة ، سكوتة ، جلودة ، تربتها في الاقل لم تزل جيدة ، انهارها لم تزل جارية ، سماؤها لم تزل مقيمة عَلَى عهودها ترسل غيثها خيراً شتاءً ربيعاً — في مثل هذه الامة لا تحدث مجاعة الا لاحد امرين — لجهل فيها او لجور في اولياء امرها ·

والمجاعة التي لا يد فيها للطبيعة او للقضاء او لله انما هي جناية الانسان الكبرى عَلَى اخيه الانسان ·

ان خيرات الارض لتكفي ابناء الارض وان التكافل والتعاون لمن اوليات الوجود الانساني الحضري منه والمدني · فاذا اغفلنا الان البحث في اسباب المجاعة ونظرنا في نتائجها فقط تحتم علينا النظر ايضاً في الطرائق الفعالة لازالتها — ولازالتها سريعاً ·

امة صغيرة في بقعة قصية من الارض تتضور اليوم جوعاً · وامة كبيرة عزيزة الشأن عظيمة الصولة يفيض عنها من خيراتها أليس من العدل اذاً — بل من الواجب المقدس ان نأخذ مما فاض عن هذه لنطعم تلك الجائعة ؟ نعم · وما يصح في الامم يصح في الافراد · وهذا التعديل في خيرات الارض عدل لا فضل فيه لمن اعطى ولا شكر عليه ممن قبل العطاء

الامة المنكوبة امتنا ايها الناس · الجياع فيها اخواننا · وان الفائض عنا اليوم لا حق لنا به البتة · لا والله· ليس ما فاض من خيرنا اليوم لنا بل هو للجياع في بلادنا · ولو كنت من اولي السيادة والسلطان لاخذت اليوم من الشبعان لاطعم الجائع — لفرضت عَلَى كل سوري مقداراً من المال

يدفعه راضياً او مكرهاً ·

وماذا يضر السوري لو دفع اليوم دولاراً واحداً لاغاثة اخوانه في الوطن · دولاراً واحداً عَلَى كل سوري الفقير والغني سواء

اني من اصحاب الرأي لا اصحاب السيادة لذلك لا استطيع ان اضرب ضريبة هي حق والله عَلَى كل سوري · ولكني عملت بطريقتي وبحقي فدعوت اخواني في المهجر في مقال سبق الى الصوم يوماً واحداً يدفعون ما يوفرون في هذا اليوم اعانة للمنكوبين · وقلت اننا اذا خبرنا الجوع نرثي لحال الجائع فنسرع لاغاثته ·

وكي لا يقال اني ابشر بما لا افعل بدأت بنفسي عاملاً برأيي · فاني محاسب لقلبي اذا مال وللساني اذا قال · لذلك صمت عن الاكل والشرب والتدخين يومين وصالاً · ودفعت نفقة اليومين الى اللجنة وجئت في هذا المقال اطلع القارىء عَلَى ما خبرته من نتائج الصوم ومفعول الجوع

فاذا كانت كلمتي في الصوم ذهبت ادراج الرياح عسى ان يؤثر عملي فيحمل اخواني في المهجر عَلَى الاقتداء بي

من الساعة السابعة مساء حين بدأت اصوم حتى الساعة الثالثة بعد ظهر اليوم الثاني لم اشعر قط بالجوع · ولكنني احسست بطنين في اذني وبتجفف في لساني · وبشيء من المرة في فمي · عَلَى اني في الساعة السابعة اي بعد مرور اربع وعشرين ساعة بدأت اشعر نوعاً بالجوع وبالعطش وبشيء من الدوار ·

كنت اصيل هذا النهار اتمشى وصديق لي في احد شوارع المدينة فمررنا بمطعم صُفت في شباكه انواع الخبز والكعك والحلويات فوقفت امام الزجاج الحائل دوني وتلك الجنة ناسياً ذاتي امثل في نفسي ولداً فقيراً جائعاً لا فلس في يده يفثأ به سورة جوعه · اخترقت الزجاج عيناي وما فيهما من نهمة الى الاكل فتحلب اللعاب في فمي فغصصت بمر مذاقه وترغرغت عيناي بالدموع· هذا وانا لا اشعر حقاً بمضض الالم في معدة فارغة وقلب يقتر شوآء لاني اجوع مختاراً والمسكين الذي صورته امامي بل امام تلك المآكل المصفوفة ورآء الزجاج يجوع مكرهاً · ان جوعي ينتهي ساعة اريد واما جوعه فلا يزول الا ساعة يتصدق عليه احد المحسنين · فقلت في نفسي ان حالة اجتماعية توجد مثل هذا المسكين الجائع لحالة ذميمة ، منكرة ، فاسدة ، جهنمية · واذا كانت كذلك فكيف بها والمسئولون عنها يجوّعون عمداً امة باسرها ؟

لقد شاركتك جوعك يا اخي فتعال اقاسمك كسرتي · علهّ تعالى يبعدني من ذل الحاجة والاستجداء الذي هو اشد ويلاً من مضض الالم الذي يولده الجوع · ألا فليردد كل سوري هذا الكلام — هذا الابتهال وليمثل حول مائدته الفاخرة صبياً فقيراً عضه الجوع ، انهكه ، اقعده ، اضناه ، اورثه الهزال والخبل ، فيسارع الى اغاثته ·

ومن غريب امر الصوم ان صاحبه لا يشعر بالجوع الا في الساعات التي اعتاد ان يأكل فيها · فاني بعد ان نت الساعة العاشرة استفقت نصف الليل

ولا اثر في نفسي للصوم ، كأني قضيت البارح وقد اكلت على عادتي ثلاث مرات ·

ولكنني نهضت صباح اليوم الثاني وفيّ ساعة الفطور نهمة الى الاكل · وهذا لا شك من قبيل العادة · على ان مظاهر الجوع ازدادت نوعاً وشدة · فتحت فمي فاذا به كالقطن جفافاً · بلعت ما تحلب من رضابي اذ مررت بركوة القهوة فاذا به امر من الحنظل · نظرت الى لساني فاذا به ابيض كالحليب · لمسته باصبعي فاذا به كعبآءة الراهب خشونة · اما اذناي فازدادتا طنيناً · واحسست ان رأسي جسم غريب رُكب موقتاً بين كتفيّ · نزلت الدرج وعدت الى غرفتي فألمت بي نوبة من الارتعاش شديدة اقعدتني بضع دقائق وانا ارتجف حتى اطرافي · وكنت اثنآء ذلك احس بموجات حارّة تتماوج في داخلي وبالاخص في جوار المعدة

فقلت في نفسي قد عضك الجوع يا رجل · قد دنوت من اخوانك في الوطن · نعم بدأت في اليوم الثاني اشعر بالجوع واتألم من شعوري · فهذا الضعف في رجلي وبالاخص في مفاصلي وركبتيّ ان هو الا احتجاج المعدة على صاحبها ، بل على باريها ، بل على من في ايديهم خزائن الارض المسئولين عن توزيع خيرات الدنيا على عباد الله

مررت بركوة القهوة ثانية فوقفت امامها راغباً متردداً · ثم امتنعت لاني آليت على نفسي ان اصوم يومين كاملين · وفي البيت المقيم فيه اناس في الدور الاسفل يطبخون طعامهم فتتصاعد احياناً روائح المطبوخات فتسطع

في منزلي وتزعجني جداً · ولكن اليوم يوم الصوم والجوع — فان امرءاً يقتر شوآء يتصاعد صوت نشيشه من فوق النار الى منزلي لاحب عندي من مطرب او مطربة · وان روائح الشوآء والابازير في انفي لالذ من روائح المسك والبخور ·

ولّت ساعة الفطور وولى معها مضض الجوع ولا غرو ، فان للعادة حتى في الاكل كما قلت تأثيراً شديداً فينا · اذ ما السبب يا ترى في رغبتي بالطعام في ساعات اعتدنا ان نتناوله فيها وفي نسيانه بل الرغبة عنه في الفترات بينها ؟ اما الفكر مني ففي اليوم الاول من صومي كان لم يزل رائقاً صافياً ، ولكنه في اليوم الثاني اصبح خاسئاً حسيراً

ومن غريب امر الصوم ايضاً ان الذي يصوم يومين يستطيع ان يصوم خمسة بل عشرة ايام وصالاً · فانا في مسآء اليوم الثاني لم اشعر بشهوة الى الاكل شديدة كمسآء اليوم الاول · وقد قرأت اخبار اناس صاموا اسبوعين وثلاثة دون ان يتعطل فيهم عضو من اعضائهم الحيوية كالكبد او الكليتين او الرئة او القلب ·

ومعلوم ان الاقدمين كانوا يكثرون من الصوم والتنحس · وقد قال ابن خلدون — « وقد شاهدنا من يصبر عَلَى الجوع اربعين يوماً وصالاً » · عَلَى انه لا ينكر ان الصوم اياماً وصالاً يفقد المرء قواه الجسدية والعقلية فان العضلات والاعصاب لتتقلص وتذوب من الاقتيات مما كونت منه وان العقل ليخسأ ويمرض من تشرب دم لا غذآء فيه · اي ان الصائم طويلاً

الطاوي اياماً يعيش عَلَى لحمه ودمه ، يأكل بالحقيقة نفسه · نعم اخواني ؛ ان الجائع يعيش عَلَى لحمه ودمه ، والجائع كرهاً يقاسي من مضض الذل — ذل الحاجة وذل الطلب — ما هو اشد من مضض الجوع

كتبت مرة نبذة انتقد فيها بعض التعابير العربية التي نرددها نحن الكتّاب وقلما نتحقق تمام معناها · من جملتها قولنا · « الجوع المدقع » فاستغربت اذ عدت الى القاموس النعت وقلت ان لا احد يجوع جوعاً يلصقه بالدقعآء اي التراب · فمهما اشتدت سورة الجوع لا تبلغ درجة يصح ان ننعتها بالدقوع ، ولكني تحققت اليوم خطأي ، فان الجوع يوهن ، يهزل ، ينهك ، يقعد ، يهلك · واذا كان الجائع هائماً في البرية يطلب الاعشاب يقتات بها فليس من الغريب ان يسقط في الطريق من شدة الجوع · نعم رأيت كلاب السوق في الشرق في جوع ألصق بطونهم ووجوههم بالتراب ، وكنت اجل البشر عن ذلة الكلاب وجوعهم ·

فوا اسفاه ! اننا لنتحقق اليوم من حال بلادنا صحة التعبير العربي بل تحققنا التقصير فيه لا الغلو · مئات بل الوف من اخواننا مطروحون اليوم في الطرق والاسواق تتلاشى اجسامهم عضواً عضواً · عيونهم شاخصة الى الشمس نهاراً الى السماء والنجوم ليلاً · يسألون باري الاكوان كسرة من الخبز · قلوب واجفة ، ابصار خاشعة ، نفوس حزينة حتى الموت ، معد تلتصق بالاضلع منهم كما تلتصق اجسامهم بالدقعآء — بالتراب · في فمهم المرة الصفرآء — مر الحياة — يبتلعونها ثم يبتلعونها ، في اعصابهم المتقلصة غصص

الرعشة ، في اجسامهم المرض والوهآء

شيوخ واطفال ؛ نسآء ورجال ، يسارعون الى المدينة من الجبال علهم يلتقطون في اسواقها ومن فضلات ذوي اليسار فيها كسرة من الخبز فيتساقطون في الطرق كورق الخريف وقد استحوذ عليهم الجوع المدقع · أفلا تشاركهم جوعهم يوماً واحداً ايها السوري ! أفلا تمدهم بنفقة يوم من ايام يسرك !

ووالله لو مرّ بهوءلاء المناكيد الجياع وحش ضار او عقاب كاسر لمال بوجهه عليهم ، لرثى لحالهم · واننا نعلم ان في الحيوان غريزة هي اشرف من غريزة الانسان التي افسدتها المدنية والتكالب فيها · فمن الطيور من يطعم صغارها من قلبها اذا لم تجد لهم رزقاً ·

فيا ايها السوري النائي عن اخوانك المنكوبين جئت اخبرك خاشعاً لا مفاخراً اني صمت يومين فانهكني · اقعدني يوم واحد من الجوع · فكيف بمن يصومون اياماً بل اسابيع ؟ اليوم ! اليومَ ! من كان غنياً فليستعفف ! من كان متردداً في التبرع فليتقدم ! من كان متقاعداً فلينهض ! من كان في سبات فليستفق ! وما الفائدة من القول غداً غداً فان مثل هوءلاء المستحجرة قلوبهم يلوّحون بثريدتهم للجائع الاقرب الى الضاري من الحيوان منهم الى الانسان ·

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت   ويبتلي الله بعض القوم بالنعمِ

الصوم ! التقشف يوماً واحداً ! تملكون تلك النفس منكم الشارهة الى اللذات فان مثل هذه السيادة عَلَى انفسكم لاشرف من وجاهة يجرها لكم

المال · صوموا يوماً واحداً وتصدقوا علينا بدولارين مما رزقتم · الامة امتنا جاثية عَلَى قارعة الطريق تئن من ألم الجوع — الجوع المدقع ، الجوع المهلك · فهلا تسارعنا ، بل تسابقنا الى اغاثتها ؟ « أليس بلسان في جلعاد ؟ »

من يسير ما تنفقه عَلَى الملاذ في المطاعم والمشارب ، ومن قليل ما تصرفه عَلَى الملابس الفاخرة ، جُد عَلَى ابن جنسك الساقط في ساحة البلاء حيث ينكر الاخ اخاه ، والابن اباه ، ايها المعطر اردانه ، المفاخر اخوانه ، المعجب بلباسه ، الجائر عَلَى ناسه ، الراكب العربة يقودها زوج من الخيل العتاق ، الساكن القصر المشيد ، اللابس الحرير ، الآكل الفالوذج ، الشارب انواع الراح ·

ومن قليل ما تنفقين عَلَى باطل الزينة ، وزائل التحسين ، ونزر ما تبذلين في اقتناء الحلى والحلل ، ايتها المفاخرة بزينتها ، المنافسة في حلتها ، جودي وابسطي يدك البيضاء بالعطية البيضاء واحسني وانتِ حسناء ، فخير الاحسان ما كان مع الاحسان ، وخير الاحسان ما كان في اعانة الانسان ·

اديب اسحق

وجه أمي وجه أمتي

جبران خليل جبران

هذه كلمة ولدت في قلب جبران وعندنا انهُ يجب على كل سوري ان يتخذها دستورا لاميالهِ ومقاصده في هذه الايام المفعمة بالمرارة والشدائد

في الليل

جلستُ وقد هجع الغافلون ، افكر في امسنا والغدِ
وكيف استبد بنا الظالمون وجاروا عَلَى الشيخ والامردِ
فخلت اللواعج بين الجفون ، وان جهنم في مرقدي
وضاق الفؤاد بما يكتمُ فارسلت العين مدرارها

. . . .

ذكرت الحروب وويلاتها وما صنع السيف والمدفعُ
وكيف تجور عَلَى ذاتها شعوب لها الرتبة الارفعُ
وتخضب بالدم راياتها وكانت تذم الذي تصنعُ
فباتت بما شيدت تهدمُ صروح العلوم واسوارها

. . . .

نساء تجود باولادها عَلَى الموت ، والموت لا يرحمُ
وجند تذود باكبادها عن الارض، والارض لا تعلمُ
وتغذو الطيور باجسادها فان عطشت، فالشراب الدمُ
وفي كل منزلةٍ مأتمُ تشق به الغيد ازرارها

. . . .

لقد شبع الذئب والاجدلُ واقفرت الدور والاربعُ
فكم يقتل الجحفلَ الجحفلُ ويفتك بالاروع الاروعُ

ولن يرجع القتل من قتلوا ولن يستعيدوا الذي ضيعوا
فبئس الألى بالوغى علموا ! وبئس الألى اججوا نارها

. . . .

أمن اجل ان يسلم الواحدُ تطل الدماء وتفنى الالوف؟
ويزرع اولاده الوالدُ لتحصدهم شفرات السيوف؟
امور يحار بها الناقدُ وتدمي فوءاد اللبيب الحصيف
فيا ليت شعري ، متى نفهمُ معاني الحياة واسرارها ؟

وحوّلت طرفي الى المشرقِ فلم ارَ غير جبال الغيوم
تحوم عَلَى بدره المشرقِ كما اجتمعت حول نفسي الغموم
فاسندت رأسي الى مرفقي وقلت وقد غلبتني الهموم
بربكِ ايتها الانجمُ ، متى تضع الحرب اوزارها ؟

. . . .

كما يقتل الطير في الجنةِ ويقتنص الظبي في السببِ
كذلك يُجنى عَلَى امتي بلا سببٍ وبلا موجبِ
فحتامَ توءخذُ بالقوةِ ، ويقتص منها ولم تذنبِ ؟
وكم تستكين وتستسلمُ ، وقد بلغ السيل زنّارها ؟

. . . .

وسيقت الى النطع سوق النعم مغاويرها ورجال الادب

وكل امرىء لم يمت بالخذم فقد قتلوه بسيف السغب
فما حرّك الضيم فيها الشمم ولا روءية الدم فيها الغضب
تبدلت الناس والانجمُ ولما تبدل اطوارها

. . . .

ارى الليث يدفع عن غيضته بانيابه وباظفارهِ
ويجتمع النمل في قريته اذا خشيَ الغدر من جارهِ
ويخشى الهزار عَلَى وكنته فيدفع عنها بمنقارهِ
فلا الكاسرات، ولا الضيغمُ، ولا الشاة تمدح جزارها

. . . .

عجبت من الضاحك اللاعبِ واهلوه بين القنا والسيوف
يبيتون في وجلٍ ناصبِ فان اصبحوا لجأوا للكهوف
وممن يصفق للضاربِ واحبابه يجرعون الحتوف
متى يذكرُ الوطن النوّمُ كما تذكر الطير اوكارها ؟

ايليا ابو ماضي

صبر ايوب

حديث خرافة — بقلم مالك

* * *

عاد ايوب فعاش عَلَى الارض مرة ثانية في سوريا

وكان ايوب رجلاً باراً ، كاملاً ، مستقيماً ، يتقي الله ، ويحيد عن الشر . وله بنون وبنات واموال وارزاق باركها الله . بيته ككأس طافحة بالخيرات والبهاء . يحترمه الناس طراً ويهاب جانبه الكبير والصغير حتى رجال الحكومة .

ولكن ابليس عدو البشر وصديق الشر حسد سعادة ايوب مرة أخرى . وكدره تذكار اخفاقه السابق فعزم عَلَى ان يكيد لايوب كيداً . فلما جاء بنو الله للمثول امام الرب جآء ابليس ووقف في وسطهم . فقال له العلي

— من اين جئت ؟ فاجاب ابليس

— قد جئت من الارض والجولان فيها . وقد خصصت قسماً كبيراً من وقتي للاقامة في سوريا لان مناخها يطيب لي . فعبس الرب وقال

— انا عالم بذلك حق العلم ، فاني كلما نظرت من علو سمائي الى بني الانسان الأُلى قسموا الارض ممالك واقطاراً فيما بينهم لا أرى اتعس من هذا القطر الصغير ففيه التعصب الديني لا يزال ضارباً اطنابه والخمول باسطاً رواقه ، ولكن هلا قلت لي كيف رأيت هنالك عبدي أيوب ؟ فقال ابليس

— لماذا تعيد ذكرى القديم ايها القدير ؟ الا تزال تفاخرني بهذه الحشرة

— ايوب . اذا سمحت لي وسلمته الى يدي هذه المرة تبصر كيف ينسى تقواه ويجدف عليك ويلعن انبياءك وقديسيك ويمسي شريراً كباقي هؤلاء الناس الذين لا تزال تغدق عليهم من رحمتك وهم لا يستحقونها

فابتسم الرب ابتسامة واثق وقال

— أما جرَّبته مرة واخفقت ؟ فكيف تقدر عليه اليوم فقال ابليس

— اذا تنازل مولاي لمراهنتي عَلَى هذا الامر أريته كيف ينقلب ايوب بشرط ان يطلق يدي في ما افعله . فاجابه العلي

— ليكن ما تشاء . ها هو في يدك ولكن احفظ نفسه . فابتسم ابليس ابتسامة خبث وقال

— ستردك اخبار ايوب عما قريب . ثم ترك السماء ونزل الى مقره في الجحيم يهيء الخطط ويعد المعدَّات ليرمي ايوب بثالثة الاثافي

. . .

لم يمضِ وقت قصير حتى تدفقت المصائب عَلَى ايوب وانهالت تباعاً

كان جالساً ذات يوم في صحن داره امام الفوارة يدخن نارجيلته ، ويشكر ربه عَلَى مرور يومه بسلام ، واذا برسول اتى يخبره ان الدولة اعلنت الحرب ، وان اولاده قد سيقوا الى الجندية . فخاف ايوب عَلَى بنيه من اهوال القتال واسرع الى سراي الحكومة فافتداهم بدفع قيمة باهظة من المال . فخسر اكثر ثروته عَلَى انه لم يشعر بهذه المصيبة الطفيفة بل حمد الله كعادته

وفي اليوم التالي بينما كان ايوب جالساً في دكانه بالسوق الجميل اذا بجندي يدعوه الى مقابلة الوالي . فذهب معه وعلم ان الحكومة تطلب الف ليرة منه مساعدة لاسطولها . فدفع ايوب القيمة صاغراً وخرج ولسانه ينطق بشكر الله ويقول

— الرب يجرب خائفيه

وفي اليوم الثالث صدر امر وزارة الحرب بأخذ الرديف فسيق بنو ايوب للمرة الثانية الى الثكنة العسكرية . فاضطرَّ ايوب ، وقد فرغت خزائنه ، ان يستدين مالاً من اصدقائه ليفتدي بنيه .

وفي اليوم الرابع اتته فصيلة من الجند يقودها احد اعضاء المجلس العسكري فحجزت عَلَى ما في مخزنه من البضائع والمأكولات لان الحكومة بحاجة اليها . واعطته بها وصولاً عَلَى قطعة ورق . فخبأ ايوب الورقة بيد مرتجفة وقال — لا بأس . الله اعطى والله أخذ . فليكن اسم الرب مباركاً .

وفي اليوم الخامس دُعي ايوب الى المجلس العرفي . وهناك بشره الرئيس بان نظارة الحربية عرفت بغيرته عَلَى صوالح امته وباستعداده لمساعدتها ففرضت عليه دفع الف ليرة للجيش وانعمت عليه بلقب « بيك »

فشكر له ايوب ما اغدقه عليه من الشرف وصرَّح له بقلب واجف وصوت مرتجف .

— ولكن يا سيدي لا مال عندي الان . فقد دفعت فكاك بنيَّ مرتين فرهنت داري عند اصدقائي ، وبالامس اخذتم كل ما في مخزني . فمن

اين لي المال ؟

— لا نعرف ولا يهمنا يا ايوب بك . وجل ما نعرفه انك غني من وجهاء البلد وعليك ان تقدم المطلوب لحكومتك ، والا فانت تخادعها .

ولكن ايوب رفض دفع المال . وكيف يدفع وليس له ما يدفعه . فألقي القبض عليه وحوكم في الديوان العرفي فحكم عليه بالسجن المؤبد وحجزت السلطة داره وامتعته وجرَّدت بنيه وبناته من كل شيء فخرجوا يستعطون في الاسواق . ولما هجم الجوع بخيله ورجله واملق الناس حتى الموسرون اضطرت بناته ان يبعن اشرف واسمى ما عندهنَّ لينلنَ كسرة من الخبز .

اما ايوب فكان مطروحاً في السجن وقد أمسى باوشم حال بعد ان سلبه السجانون ثيابه الحسنة . ولكن ذلك لم يهمه كثيراً ، فشكر الله قائلاً

— عرياناً خرجت من بطن أمي وعرياناً اعود

وقضى اشهراً في سجنه متدرعاً بالصبر آسفاً عَلَى ما آلت اليه حالته وحالة بنيه وبناته . وكان يفكر ليل نهار — أي ذنب جناه يا ترى حتى استحق غضب الرب ، فافتقده بهذه المصائب ؟ ولكنه كان يعود الى الرضوخ والسكينة حين يتعذر عليه ادراك هذا الامر ويقول

— من انا حتى اخاصم الرب ؟

اما ابليس عدو الصلاح فلم يقف عند هذا الحد ، بل كان يهيء لايوب شدائد جديدة ومحناً تهد الجبال الراسيات ، وكان قد اتقن علم الشر وادرك

ان هنالك شيئاً اشد من البرص لتحطيم النفوس الصالحة الراضية .

انتشرت المجاعة في البلاد فقضم الويل الاخضر واليابس واتصلت بايوب اخبار هلاك كثير من شعبه وفيهم اصدقاؤه وانسباؤه فاستقبل سهام هذه المصائب بدرع التصبر وكان ينظر بعينين خاشعتين الى السماء عالماً ان يداً في السماء حكيمة تدبر ما تدبر لخيره وخير شعبه .

على ان يومه العصيب أزف حين تواردت اليه الاخبار تباعاً تنذره باسوأ ما يتوقع فاصبح لا يصدق ما يسمع

-- أيوب قد ماتت امرأتك جوعاً بعد ان اكلت التراب

-- مسكين يا ايوب ، قد هلك ابناك الاكبران في حملة الدردنيل .

-- ... اليوم شنقوا ابنك الثالث لفراره من الجندية . وصلبوا الرابع لعصيانه اوامر ضابطه .

-- ... حاول بقية ابنائك الهرب الى مصر سباحة فغرقوا .

-- ... قتل إحد الجنود ابنتك الكبرى لانها دافعته عن نفسها

-- ... قبض على ابنتك الثانية بعد ان خنقت طفلها لتنقذه من الجوع وماتت الاخرى في بيت الريبة

-- ... القت احدى بناتك نفسها في البحر تخلصاً من حياة العار والفاقة

-- بيعت بناتك الباقيات في سوق الاماء

كفى ! كفى !

رفع اليأس يده القاسية ولطم كأس الصبر المترعة فاطارهـا شظايا

واهرق ما فيها على رمال الويل المحرقة

حرق ايوب الارم عند سماعه هذه الاخبار وحاول ان يتمالك نفسه فلم يستطع — واخيراً جمع يده وهزها في وجه السماء ... وجدّف

ولم يستطع ان يبكي لان الدموع لا تخفف مصيبته . ولم يقدر ان ينم لان الرزايا ايبست اعصاب جفونه فلم تنطبق

وكان ماضيه السعيد يتراءى له في ليالي ارقه فيرى مصائبه الماضية فيستخف بها بازاء نكبته الحاضرة ويقول

— أف . ان احتمال البرص والجلوس على المزبلة ، والاحتكاك بشقفة خزف لخير من هذه الحالة الشقية .

وتذكر كلام امرأته حين قالت له في حياته السالفة — جدّف على الله ومت . فجدّف ثم جدّف ، جدّف . ولكنه لم يمت بل ظلّ حياً في سجنه يقاسي آلام اليأس وعذاب البقاء .

. . .

وكان بعد هذا ان الشيطان مثل امام عرش الله وقال له مبتسماً

— كيف رأيت صنعي بعبدك ايوب ؟

فاكفهر وجه العلي وتجلت في وجهه علائم الحزن العميق والرأفة والاسف ، فقال

— لقد ظفرت ايها الخبيث . كنت اظن ان البرص اشد المصائب البشرية هولاً فاذا به هين بازاء قسوة الانسان على اخيه الانسان

ما ابهج هذه الحياة

للمصور رايماكر

الى الاعانة

* * *

بم المسلي ، ولا شيء يسلينا ؟   والموت يفتك فتكاً في اهالينا
يا للبلاء ! و يا عظم الشقاء ! و يا   فقد الرجاء ! فقد خابت امانينا
ا يصرخون ونبو عن اغاثتهم ،   ويسألون ولم نمدد ايادينا
إذن فنحن براءٌ من محبتهم ،   فما القساوة عادات المحبينا
وا رحمتا لجياع بائسين اذا   جن الدجى افترشوا الاشواك طاوينا
ممدين عَلَى وجه الثرى خوَراً   والامس كانوا اشداء شواهينا
جفت مدامعهم من فرط ما ذرفوا   دمعاً فاجروا دم الاحشاء باكينا
باتوا مساكين بعد العز في عوزٍ ،   ويقرض اللهَ من يعطي المساكينا
لا يغفلون ولا يلهون من أَلمٍ   ونحن لاهون عنهم في ملاهينا
يؤملون عَلَى دفع المصاب بنا   عوناً ونحن كأنا غير دارينا
ولا مبالين الاَّ بالشقاق ، فهل   كنا بدفع الطوى عنهم مبالينا
لا نحن منهم ولا هم مَن يلوذُ بنا   ان لم نفض بالدم القاني مآقينا
ان لم نبادر الى تفريج كربتهم   وندفع الضيم عنهم غير وانينا
بسعينا عصبة للخير واحدةً   وبذلنا كلَّ غالٍ من غوالينا
نصفي القلوب ونمضي في اغاثتهم   لا ممسكين ولا الغايات تثنينا
في حلبة الجود نجري في مسابقةٍ   شأن الفوارس قد لاقت ميادينا
فالجوع غازٍ وسوق البر قائمة   اين المكارم بل اين الندى فينا ؟
خير العطاء بلا منٍّ يكدرهُ   ان الاله عَلَى المعروف يجزينا

فأسرعوا يا بني امي فاخوتكم　　　يستنجدون بكم . كونوا ملبينا

. . . . .

ويا ذوات البها ، ان روضه عبقت　　　للروح والقلب كنتنّ الرياحينا
هل نعمة من اياديكنّ طيبةٌ　　　تحيي قلوباً وارواحاً تناجينا ؟

. . . . . .

اني لاسمع من خلف البحار علَى　　　رغم المسافة اصواتاً تنادينا
اني لأنظر اجساماً مكردسة　　　فوق الحضيض وقوماً مستغيثينا
وطي اضلعهم للنار ألسنةٌ　　　لو انها اندلعت كانت براكينا
اني لألحظ هاتيك الربوع ذوت　　　منها الرياض وقد كانت بساتينا
وصوّت البوم فيها والغراب وكم　　　ناغت شحاريرها قبل الحساسينا

. . . . . .

الى الاغاثة يا اهل الندى ، استبقوا　　　الى الاغاثة هبوا مستطيرينا
فالاهل باتوا وناب الجوع ينهشهم　　　فان قعدنا فناب الحزن يفرينا
تداركوا الامر او تمسون في ندمٍ　　　وما الندامة عما فات تجدينا
هبوا ولا تتوانوا في اغاثتهم　　　فما المصيبة الأ من توانينا
يا ليت من جلبوا هذا الشقاء لهم　　　تجرعوا العيش زقوماً وغسلينا
يا ليتهم قبلما أودوا بهم أُخذوا　　　بالسيف حيناً واطراف القنا حينا
ويرحم الله قوماً ابرياء قضوا　　　ظلماً وجازى البغاة المستبدينا
قد استبدوا فهدوا ركن دولتهم　　　وخالفوا الله والناموس والدينا

نعمه حاج

الجوع

من رواية للكاتب الاسوجي كنوت هامسون

****

... في ذات ليلة عدت الى التطواف علَى غير هدى في شوارع المدينة أتيت المقبرة وجلست هنالك زمناً أحبر مقالة لاحدى الجرائد ، وبينما كنت منهمكاً بذلك هبط المساء وادلهمّ الليل وأزفت الساعة العاشرة وحان وقت اغلاق باب المقبرة . وكنت جائعاً جوعاً شديداً . وقد نفدت الدراهم العشرة ، ويا للاسف ، وهي آخر ما كان معي من المال . ومضى عليّ يومان ، بل ما يقارب الثلاثة ايام وانا لم اذق طعاماً . فشعرت بضعف وأحسست بنصب ناجم عن كتابتي علَى الورق بالقلم الرصاصي . ولم يكن لديّ من المقتنيات الا قطعة موسى مكسور نصفها وعروة فيها مفاتيح ، وما سوى ذلك لا بارة .

كان عليّ بعد ان أغلقت المقبرة ابوابها ان اذهب الى المبيت . ولكن غرفتي — وهي في الاصل معمل علب قصدير قديم هجره اربابه فاذنوا لي ان انام فيها — كانت تسبب لي روعاً غريزياً مبهماً بظلامها وفراغها . فهمت علَى وجهي الى حيث تقودني قدماي ، فمررت بدار الحكومة ثم وصلت الى الشاطىء فوجدت مقعداً علَى جسر السكة الحديدية فجلست عليه لم يخطر ببالي حينذاك حزن ولا أسف . نسيت فاقتي وشعرت براحة

لدى رؤيتي البحر المنبسط امامي في غباشير الليل جميلاً هادئاً . وخطر لي ، اتباعاً لعادتي ، أن اسلي نفسي واتلذذ بقراءة المقالة التي كتبتهـا منذ هنيهة ، وهي ، عَلَى ما خيل لدماغي المريض ، من افضل ما أنتجته قريحتي فأخرجت الاوراق من جيبي وامسكتها مدنياً اياها ما استطعت من عيني لكي استطيع ان أميز ما فيها وتلوت الصفحة بعد الاخرى . واخيراً اضنكني هذا العمل فاعدت الاوراق الى جيبي . وكانت السكينة قد سادت في كل مكان ، ووجه البحر المطمئن يحاكي صفيحة من الصدف اللوءلوءي الازرق ، والطيور الصغيرة تتطاير حولي متنقلة من محل الى آخر ، والشرطي صاحب النوبة في الحراسة يتمشى ذهاباً واياباً عَلَى بعدٍ قليل . ولم يكن هنالك من بشر سواه ، وقد عمَّ السكون كل مكان في المرفأ .

أعدت حسبان مقتنياتي للمرة الثانية فوجدتها كما هي — قطعة موسى صغيرة وحزمة مفاتيح ولا شيء من المال . وبينا أجس ما في جيوبي اذا بي اعثر عَلَى الاوراق التي وضعتها فيها فاخرجتها غير منتبه لما افعله وانتقيت منها ورقة لا كتابة عليها . وخطر لي أمر ، ولا ادري من اين تطرق الى دماغي فطويت الورقة وعملت منها صرَّة يبان للناظر اليها ان فيها شيئاً ، ورميت بها الى الرصيف عَلَى مقربة مني ، فقذفتها الريح أبعد قليـلاً فظلت ثابتة في مكانها .

وفي اثناء ذلك أخذ الجوع يذكرني بنفسه غير مشفق . فطفقت ارمق الصرَّة البيضاء الفارغة التي تراءت كأنها مملوءة نقوداً فضية : وحاولت

ان اقنع نفسي انها تنطوي في الحقيقة عَلَى مال ، وحثثت نفسي لتحزر مقدار ما في الصرة من المال حتى اذا اصابت كبد الحقيقة بحزرها كانت الصرة حلالاً لها بما فيها . وخيل لي ان فيها دراهم صغيرة جميلة فضية تعلوهـا دنانير كبيرة وهاجة . فلبثت ارمقها بعينين تلمعان بنار الطمع وسوَّلت لي النفس أن اذهب واسرقها .

واذا بي اسمع فجأة سعال الشرطي ، فخطر لي — ولا ادري لماذا — ان اسعل مثله . فنهضت عن مقعدي وسعلت مكرراً ذلك ثلاثاً لاستلفت انظار الشرطي اليَّ . هو ، ولا شك ، سيهجم عَلَى الصرَّة حين يأتي نحوي . وجلست مبتهجاً معجباً بحدة ذهني وحسن فكرتي . واخذت لشدة ابتهاجي افرك يداً بيد واقذف الشتائم العنيفة موجهاً اياها نحوه في سري . . . مهلاً ، فسيرى هذا الكلب كيف اسخر منه . سيسقط في يده حين يفطن للحيلة ، لعنة الله عليه . — لا شك اني سكرت من الجوع .

بعد مضي دقيقتين حدث مـا كنت اتوقعه واقترب الشرطي يخبط الرصيف بكعبي حذائه المثقل بالحديد متفرساً في الجهات بانتباه . لا يستعجل، ولم يعجل والليل بطوله أمامه ؟ لم يلحظ الصرة حتى صار عَلَى قيد خطوة منها فوقف وتأملها ملياً . اما الصرة فكان منظرها يغري بانها ذات قيمة . اذن من الممكن ان يكون ضمنها دراهم ؟ أو ربما دنانير ؟ رفعها الشرطي ، واذا بها خفيفة ، فقال في نفسه — لعلَّ فيها ريشة ثمينة لتزيين القبعات . . . فتحها باصابعه الثخينة متحرساً ونظر الى داخلها . أما انا فامعنت في القهقهة وطفقت

اضرب ركبتي بيديّ . قهقهت كالمعتوه ، ولكن لم يخرج من فمي صوت البتة . فكان ضحكي هادئاً ، مريضاً يشبه العويل ...

وسمعت للمرة الثانية خبط رجلي الشرطي عَلَى الرصيف ورأيته يعطف نحو الجسر . وكنت جالساً وعيناي مملوءتان دمعاً وبالكد اتنفس واوشك ان اغيب عن الصواب لما انتابني من الطرب العصبي . اخذت اخاطب نفسي بصوت عالٍ واقص عَلَى نفسي حديث الصرة مقلداً حركـات الشرطي ، ساخراً بها ، وانظر الى كفي الفارغة مكرراً بلا انقطاع هذه الكلمات — « قد سعل عندما رماها — قد سعل عندما رماها ! » ثم أضفت اليها كلمات قارصات سواها وقلبت العبارة اشكالاً وألواناً ، واخيراً صرت ارددهـا هكذا — « قد سعل مرة واحدة — قح — قح ! »

أقضت في تنويع عبارات اركبها من هذه الكلمات ورددتها مكيفاً حسبما شاءت مخيلتي . ولم تنقطع نوبة طربي حتى بلغت الساعة وقتاً متأخراً من الليل . ثم استولت عليّ سكينة خائرة ، وشعرت بتخدر لذيذ يساورني فلم ادافعه . تكاثفت الظلمة ، وجعّد النسيم وجه البحر ، وبرزت رسوم سواري المراكب متجسمة في الجو ، وخيل لي ان اصولهـا جبابرة مريعة ، صامتة ، قد ربضت عَلَى وجه الماء تحرسني . لم أعد اشعر بضيق ، لان الجوع اطفأ كل ألم ، ولكني شعرت عوض ذلك بفراغ لذيذ في داخلي . صرت مستقلاً كل الاستقلال عن كل ما أحاط بي ، وابتهجت في نفسي لانه لم يكن حولي من يراني . وضعت رجليّ عَلَى المقعد واستلقيت الى خلف لاتمكن

من التلذذ بوحدتي اكثر من قبل ، فامسيت في حالة لا يعكر جوّها الغيوم ولا يخالج شعوري كدر ، خلواً من كل المشتهيات والرغائب . اضطجعت وعيناي مفتوحتان في حالة قريبة من التناسي وقد غاب عني قصياً ما يقال له « انا » فلذ لي ادراك ذلك .

سادت سكينة تامة عَلَى الافاق فلم يزعجني صوت . وقنّع الظلام اللطيف امام عيني العالم باسره فغرقت في بحبوحة من الراحة . ولم اسمع سوى ضجيج السكينة الفارغ المشرف عَلَى الموت يطن في اذنيّ بلا انقطاع . وكأني بالجبابرة الهائلة تمد يديها حين يجن الليل وتجذبني اليها وتذهب بي بعيداً ما وراء البحار ، الى اقطار غريبة لا يعيش فيها الناس ، وتحملني الى قصر الاميرة ابنة الملك . هنالك أعدّ لي من مظاهر الابهة والجلال ما لم يُسمع بمثله ولم يظفر به احد من البشر . اما الاميرة فتجلس عَلَى عرش من الورود الصفراء في بهو يدهش البصر ، كل محتوياته من الاسانجوني الكريم . فتمد يدها نحوي حين أدخل وتنطق بكلمات التأهيل ، فاقترب منها واجثو عَلَى ركبتيّ فترحب بي قائلة « اهلاً وسهلاً بك ، ايها الفارس ، لقد شرفتني وشرّفت بلادي . كنت بانتظارك عشرين ربيعاً . كنت ادعوك كل ليلة زاهرة ، وكنت ابكي عندما كنتَ تحزن ، وطالما بعثت اليك نسيم الاحلام السعيدة وانت نائم ... » ثم تأخذ الحسناء بيدي وتقودني فنجتاز اروقة طويلة قد وقف فيها جماهير الناس يهتفون لها بالدعاء . ثم تسير بي في رياض زاهرة تمرح فيها مئات من الفتيات الحسان لاعبات ، ضاحكات ، حتى تصل

بي الى قاعة كل ما فيها مصنوع من حجارة الزمرد البراقة النفيسة ، والشمس تغمرها باشعتها ، والموسيقى تصدح في جنباتها بانغامها الساحرة ، والهواء ما حولنا مشبع بالطيوب . فامس يدها بيدي فاشعر بسعادة محرقة . اشعر ان ناراً سحرية سرت في عروقي . فاطوق خصرها بيدي فتهمس في اذني « ليس هنا . سر بنا . » فندخل قاعة وردية كل ما فيها من العقيق تسود في جوانبها ابهة تسلب الرشد ، فأخرّ ساقطاً عَلَى الارض ، واول ما اشعر به فجأة ان يديها تطوقان جسمي ، وانفاسها تغشي وجهي . واسمعها تهمس في اذني قائلة « اهلاً وسهلاً بك ، يا حبيبي ! قبلني ! قبلني ايضاً ! .... ايضاً .... »

نظرتُ من مقعدي فاذا بالنجوم تتألق امام عينيَّ وتحملني الى عاصفة الانوار ...

نمتُ عَلَى المقعد فايقظني الشرطي فعدت قسراً الى الحياة وآلامها ...

شكوى ونجوى

الى ايّ حينٍ ارسل الشعر شاكيا؟ وحتى متى ارعى النجوم الدراريا
وتطلب نفسي من زماني صداقة وهيهات ان تلقاه الأ معاديا
تحط الرزايا رحلها عند خافقٍ بسفح ضلوعٍ ساكناتٍ شماليا
وتمشي على اثر الليالي التي غدت بصدري دليلات الرزايا هواديا
أزحزح قطب النفس عن مستقره وادمي فؤادي ان بعثت القوافيا
أَ ذلك ذنبي ، يا زمان ، بانني قضيت مشيبي في الوفا وشبابيا
ولي حسناتٌ ، يا زمانُ ، كثيرةٌ فما لك ترويها عليّ مساويا ؟
خُلقتُ ، ولي نفس تجول لدى العلى ولو كان فوق الارض جسمي ماشيا
فمهما ترامت بي يداك ، فانني عَلَى الرغم ، لم ابرح اشيد الامانيا
عَلَى انها دنيا . لكل زمانه ، ولا بد في دنياي التي زمانيا

...

فلا تحسبوا اني اصبتُ بجنةٍ اذا جنّني ليلي وبت مناجيا
فذلك دأبي مذ دبيت وشيمةٌ شببت عليها ان ذكرت بلاديا
مغانٍ شدوت الامس حباً بذكرها فاصبحت ابكي اليوم تلك المغانيا
اناخت عوادي الدهر فيها رحالها غداة تعدت طودها والروابيا
اعلل نفسي بالقوافي تارةً وطوراً تراني شاخص الطرف ساهيا

احثّ مطايا الفكر نحو ديارهم غداة سطا دهري فقصّ جناحيا
واذكر اوطاني وللعين ادمعٌ وفي القلب نارٌ ان تذكرت اليا

. . .

أُقلِّبُ طرفي في محيطي فلا أرى من القوم الا خاليَ البال لاهيا
رويدكم ، ياقوم ، فالآل في ضنى ينادون · هلاّ تسمعون المناديا !
تطول لياليهم الى حدٍّ انهم يظنون ان الدهر صار لياليا
رويدكم ، ياقوم ، فالجوع قد سطا وعمّ فاعمى النائحات البواكيا
رويدكم ، يا قوم ، فالوطن الذي تدفق منهُ الخير قد صار خاليا
كأني بسوريا وقد طال عهدها على مضض الايام تخشى التلاشيا
كأني بلبنان وقد نطح السهى وعيناه تجتاز البحور الطواميا
يشقُّ عليهِ ان يرى كل نازحٍ سقاه زلالاً ينكر اليوم ساقيا
هنالك خلف البحر ارضٌ بعيدةٌ ادير اليها كل حين لحاظيا
افكّر في ما قد غشاها من الاسى فأثني عنان الفكر جذلان باكيا
لعلميَ أنْ لا بدّ للقمر الذي عراه خسوفٌ ان ينير الدياجيا
فكم نكبة كانت سبيلاً الى العلى ، وكم يستطيب الماء من كان صاديا
تذمُّ الدواهي ان دهتنا وربما اذا رحلت عنا مدحنا الدواهيا
فما هي الا كالغيوم اذا انجلت تخلّف جوًّا مشرق الوجه صافيا

« رشيد ايوب »

أنة عاجز

* * *

في سكون الليل جلست الى وحدتي حزيناً ، مفكراً في حال قومي ووطني

في سكون الليل نظرت من خلال الظلام الكثيف علي أرى بصيص امل ينعشني فلم ابصر الا ظلاماً دامساً يزداد ادلهماماً ووحشة كلما امعنت النظر اليه · وتلمست خوافي المستقبل بيد الامل فعادت يدي فارغة خائرة

رفعت عينيَّ الى السماء من حيث يأتي العون فرأيت ابوابها مغلقة والصمت حارسها ، وهي تنظر نحوي بوجه عابس وترمق الكون بعيون النجوم الوقحة ولا أثر فيها للرحمة ·

حولت طرفي الى اخواني الناس ··· ولم تكُ الا هنيهة حتى عاد طرفي حسيراً · فاغضيتُ عَلَى القذى ·

. . .

في سكون الليل أغمضت عينيَّ عَلَى قذاها وجلست صامتاً أفكر في حال قومي ·

ألا ، ما اهول الحياة في مملكة الصمت ! وما أفظع ما يقاسيه الساكت رغماً !

في سكون الليل — ليل التراخي والعجز — جلست صامتاً ، أنظر في قلبي الى مشهد لا يقوى العيان عَلَى حجبه ، ولا البعد عَلَى ستره

هنالك في مكان قصي عن عيني ، قريب من نفسي -- في مكان ندعوه وطناً ، ويستحي ان يدعونا ابنـاءه رأيت قومي خاشعين مضنكين ، وقد احاقت بهم جيوش الخوف والهم والضعف واليأس والموت واثخنتهم جراحاً ، ولا مهرب لهم منها ، ولا معين لهم عليها ٠

هو الجحيم ما قد رأيته -- جحيم الهول والفناء قد انشقت عنه الارض فاندلعت منه ألسنة الهلاك لا تبقي ولا تذر

أطبق الروع عيني بصيرتي فاتصل بسَمعي أنـّات يأس وصرخات هول وهتاف استغاثة أليم -- تلك اصداء آلام يتكبدها اهلي وحشرجة نفوس بلفظها قومي ٠ هي اصوات قلما تؤثر في مسامع النازحين لبعدهم عنها ، بل قلما يشعر بها القساة لانهم صموا آذانهم دونها ، بل لا يبالي بها الا من كانت له لحماسة للانخراط في المعركة المحتدمة بين قومي والفناء

لم يحمَ قط وطيس قتال كهذا في تاريخ الاحزان والحروب ٠ عَلَى انه في هذه الدقائق التي يقسم بها القضاء حظ أمتي ويضع حداً فاصلاً بين حياتها ومماتها ، فاما يبقيها ، واما يفنيها ، أنظرُ ، فأجد من حولي اناساً من لحمي ومن دمي واقفين يتفرجون غير مبالين

ألا ، كيف يستطيع الانسان ان ينظر الى اهله واحبائه وقومه يموتون ويسمع باذنه أنـّاتهم ولعناتهم دون أن يأتي بشيء !

ألا ، كيف ينام المرء ملء عينيه آمناً وهو يعلم ان له أخاً يزدرد المرارة ويغص بريقه الناشف !

وكيف يجلس المهاجر المتراخي مرتاحاً ، ساكن البـال ، غير مشعر بقصوره وتبكيت ضميره مضطجعاً عَلَى فراشه الوثير ، متظاهراً بالطمأنينة ، متمتعاً بلبانها ، لا يفكر بشيء ؟

ألا يسمع عويل الاطفال الجائعين وأنين الشيوخ المدنفين ؟ ألا يشعر بالايدي الممدودة ، والارواح المناجية ، والعيون الصارخة ؟

ألا يرى دموع الامهات يعللنَ بها الاطفـال ، يرجين الفرج والموت بالباب ؟ ألا يعلم ان قومه يأكلون التراب ؟

أقول هذا صامتاً ، وأصغي الى اصداء نفسي فأسمع بالقرب نحيبـاً ووجيباً ، وزفرات وأنـّات ، ولا ادري الا بعد حين أن الباكي هو انا ، وأن العويل عويلي يشق جوانحي ويمزق صدري ، واني انتحب لحال قومي ، وابكي عَلَى نفسي مستاء من ضعفي ، مشعراً بقصوري وعجزي امام هول النكبة ٠٠٠

٠ ٠ ٠

في سكون الليل سمعت باذني رنة المطرقة عَلَى مسامير الصليب فذرفت دمعي وانا انظر الى « الجلجلة » من بعيد

رأيت سوريا تقاد الى الصلب عريانة ، مهانة ، تُجلد بسياط السخرية وتكلل باشواك العار وتشرب من مرارة الهلاك ٠

كم مرة سيقت سوريا الى الصلب فاستشهدت عَلَى عيون التاريخ · وكم مرة صعدت الى المحرقة فكانت ذبيحة تكفير عن وجودها · وكم مرة دُفنت حية في أعمق الارماس · ولكن طغاة الفاتحين وفي طليعتهم نبوخذنصر القاسي وفي موءخرتهم تيمورلنك العاتي لم يعبثوا بسوريا بعض ما عبثت بها يد النكبة الان ، ولم يدقعوها بسنابك خيلهم كما أدقعتها وطأة وحش الجوع والويل ·

من هام الجبال وقاع الوديان ، من السهول المطمئنة والحزون الناشزة ، من مراتع الحضارة ومسارح البداوة ، من كل مدينة وقرية في سوريا يسير موكب الويل عَلَى درب الصليب متجهاً نحو « جلجلة » الموت يسوق امامه بسياط الجوع شعوب سوريا — كبيرها وصغيرها ، غنيها وفقيرها ، موءمنها وكافرها ، عالمها وجاهلها ، صالحها وشريرها ·

عَلَى درب الصليب يسير حاضر سوريا ومستقبلها · وعَلَى هذا الدرب يقف بين الآونة والاخرى كل من يرزح تحت اثقال صليبه · يقف وينظر الى الجهات الاربع مستغيثاً وليس من يناوله منديلاً ليمسح به عرقه الدموي

ويلاه ! ما اكثر الرازحين ، الواهنين ، الساقطين تحت صليبهم الثقيل ، وما أقل الرسل المخلصين !

في هذا الموكب يسير رجال المستقبل الى الفناء وفيهم اعاظم امة جديدة : فيهم بناة التاريخ ، فيهم غطاريف الحرية ، فيهم الانبياء وابناء الانبياء الذين عينوا ان يكونوا رسلاً لدين جديد في عصرٍ لم يأتِ

في هذا الموكب تسير اشباح الغابرين تتكلم بلسان الحاضرين ، ناطقة بلسان التوجع والانين ·

وما أقلَّ السامعين !

· · ·

في سكون الليل عَلَى درب الصليب رأيت المصيبة تدغم الماضي في المستقبل ، وسمعت خيالات الغابرين ، بل اصوات الحاضرين ، بل ارواح الآتين تنادي وتستغيث ، فدبت في دمي رعشة حادة حين رأيتهم يقفون افراداً للراحة عند الحضيض فيقول كل هتافه ويمشي ولا مجيب الا الصدى الرهيب حين يردد وراءهم ما قالوه · وهاك بعض ما سمعته

— انا يوسف بن يعقوب · انا الذي خزنت القمح للناس واطعمتهم في سني الجوع السبع · فما للناس لا يطعمونني ما يسد رمقي في هذه السنين ؟

— انا سليمان الحكيم — انا ابن داود وامرأة اوريا — انا ابن القوة والجمال · كانت خزائني تضيق بالذهب والجواهر ، وسفني ترزح بما عليها من النفائس · وها قد جعت الان واستسهلت الاستعطاء · ألا من يتصدق عَلَى الملك الشحاذ ؟

— انا يهوديت الارملة غادة بيت فلوى · سحرت اليفانا قائد الاشوريين بجمالي وقتلته وبددت جيشه لاحفظ شعبي واصون عرضي · ولكني الان أبيع هذا وذاك لانال كسرة من الخبز

— انا مريم ام يسوع · مات طفلي البارحة جوعاً · ورأيته يقاسي في

مهده من الالم ما ليست عنده عذابات الصليب بشيء ·

— انا مريم المجدلية تلميذة الناصري · كان فيَّ سبعة شياطين قبل ان يلمسني المعلم ، ولكن وطأتهم لم تكن شديدة كوطأة شيطان واحد احتمله الان يدعى الجوع ·

— نحن العذارى الخمس العاقلات · قد جفَّت مصابيحنا من الزيت ويبست افواهنا من الجوع ، ولا نزال ننتظر قدوم العريس · فاين العريس الموت ؟

— انا يهوذا من اسخريوط · الجوع أقسى من الخيانة · رحمةً ياناس وان لم اكن استحق الرحمة · لم يبقَ معي سوى هذه الثلاثين من الفضة التي بعت بها المسيح · أما من يبيعني بها رغيفاً ؟ ألعل الرغيف أثمن من المسيح ؟

— انا غاليوبال السوري امبراطور الرومان ، ولكنني اليوم جوعان · خذوا تاجي والصولجان وجواري الحسان واطعموني ولو علَى سبيل الاحسان

— انا ابو العلاء ضرير المعرة · تصدقت عليكم بشعري وفلسفتي · فهل من يتصدق برغيف عليَّ ... علَى الشيخ ... الاعمى ... الشحاذ

هذا بعض ما سمعته حين رأيت الماضي والمستقبل يسيران علَى درب الصليب · ثم سمعت طرق المسامير ثم ساد السكون

كل شيء ابتدأ بالسكوت فهل ينتهي به كل شيء ؟

. . .

في سكون الليل البهيم المخيم فوق سوريا يصعد شيطان الويل من هاوية

الشقاء فينفخ الروع في الارواح والالم في الاجساد والظلمة في الابصار

ثم يبسط جناحيه الاسودين الكثيفين في عرض الجو ساتراً بهما ما علَى وجه الغبراء من الويل متلقفاً أنَّات البائسين واستغاثات المنكوبين ، حائلاً دون وصولها الى عرش الله وآذان المحسنين

وفي الاسفل تحشرج الارواح وتتشنج الاجسام وتتراكم الجثث ويمد المدنفون يد الضراعة صامتين

وبعيداً — ما وراء البحار اخوان اولئك البائسين يرتعون في أحسن الراحة وبحبوحة الهناء ويستعذبون لذة البقاء فهل يسمعون هتاف الويل في سكون الليل ؟

وهل يمدون يد الرحمة لطرد النقمة ؟ ام يغسلون ايديهم تبرءاً من دم البار ؟ أم يأتون القبر باكراً — متأخرين — بالطيوب ؟

. . .

كل شيء ابتدأ بالسكوت فاذا كان مقدراً ان ينتهي به أجل سوريا الان فما اجدر قومي ان يموتوا في عجزهم ساكتين

مشهد من مشاهد

النكبة في سوريا

***

من وادي العبودية القاتم الذي ندعوه « الارض» يتصاعد ضجيج هائل تتصل اطرافه بالسماء فترنو نجومها الى الاسفل مذعورة مضطربة ، لانها لم تسمع بمثله منذ سُقفت الارض بالسماء ٠

ذلك ضجيج المنتمين الى الانسانية وقد اشتبكوا في عراك هائل سيذكره التاريخ مسمياً اياه « حرباً عمرانية » ٠ والمنخرطون فيه قد انقسموا قسمين ، قسم يعارك بعضهم بعضاً ليكون لهم النفوذ والاثرة وقسم آخر يعارك الجوع والهم واليأس ٠

من خلال هذه الجلبة تسمع الدهور وقع خطى ملايين من الارجل الراحلة الى الابدية عَلَى طريق الفناء ويتصل باذانها من الارض هتاف الاسى وانين النكبة ، ونحيب الحيرة ، وصدى اليأس الصامت

هذه بعض نتائج الحرب الضروس التي تدور رحاها الان طاحنة بويلاتها ما كان في الارض من بشاشة وهناء وامن ٠ ولم تكتفِ الحرب بان تعم ويلاتها بلاد العناصر المتطاحنة بل تطرقت الى بلاد لم يحرك اهلها ساكناً ، وانما حكم عليها موقعها الجغرافي ان تعرض جسمها لسهام النكبة وتقاسي من البوءس ما لا قبل لها به ولا طاقة عَلَى احتماله ٠ فداستها سنابك الويل فسقطت

الى الحضيض دامية ، مدنفة ، تستغيث باهل المروءة والانسانية ·

من هذه الاقطار التي ضحيت عَلَى مذبح الحرب بلاد البلجيك وارمينيا ، وقصتها في النكبة مشهورة · ولكن هنالك قطراً ثالثاً يدوي صوت استغاثته في آذاننا ، وقد انشب البوءس مخالبه في جسمه ، واصبح احق البلاد المنكوبة بالاسعاف · وهذا القطر البائس هو سوريا ·

سوريا — بلاد الانبياء ، مهبط الشرائع والاديان — القطر الذي شرفه الوحي — البلاد التي كانت تدر لبناً وعسلاً ، وتقيت سواها مما فاض من محصولاتها اصبحت الان مهبط الشقاء ومهد الويل ومسرح الهول · فقد تفشت فيها المجاعة وعمت الفاقة وسرى الوباء ومشى موكب الموت يتقدمه الخوف ، فاشتد الضيق بالاهلين ونفد القوت ، فباتوا ينتظرون الهلاك في منازلهم الخالية بعد ان أقفرت حقولهم ؛ وسدت طرق الفرج في وجوههم ، وانقطعت عنهم سبل المواصلات من الداخل والخارج

نكبات سوريا التاريخية

وليست هذه النكبة باول ما طرق سوريا من طوارق الحدثان ، فقد عانت هذه البلاد من الشقاء في تاريخها ما لم تقاسه بلاد أخرى · وما اكثر الويلات في البلاد الذي يعرضها موقعها لاطماع الفاتحين ويجعلها طريقاً للامم يمر فيها كل مكتسح عاتٍ

أول ما يذكره التاريخ من نكبات سوريا مجاعات واوبئة ذكرتها التوراة نوردها عَلَى سبيل الفائدة ·

في ايام ابرهيم حدث جوع في الارض اضطره الى مغادرتها الى مصر (سفر التكوين ص ١٢ ع ١٠) وتلاه جوع آخر بعد برهة عَلَى ايام ابنه اسحق ثم في اواخر ايام يعقوب حدثت المجاعة الشهيرة التي عمت الارض سبع سنوات · وبسببها انتقل الاسرائيليون من فلسطين الى مصر انتجاعاً للقوت · وكان يوسف الصديق اذ ذاك قيماً عَلَى اهراء فرعون التي احتاط لاملائها بعد ان رأى فرعون في حلمه المشهور سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف · ثم حدث جوع شديد بعد صعود الاسرائيليين من مصر واكتساحهم فلسطين عَلَى ايام حكم القضاة وظل عشر سنوات (سفر راعوث) · ثم تلته مجاعة في ايام الملك داود ظلت ثلاث سنوات (صموئيل ص ٢١ عد ١) وقد جاء ايضاً في التوراة ان الله سلط عَلَى بني اسرائيل في ايام الملك داود بن يسى وباء لم يطل غير ثلاثة ايام ، فمات به سبعون الفاً في نهار واحد · وعقب ذلك بعد مرور زمن جوع عمَّ البلاد في ايام ملك اسرائيل آخاب دام ثلاث سنوات لانحباس المطر · وهو الجوع الذي اضطرَّ النبي ايليا التشبي لسببه ان يذهب الى صرفة التي لصيدون فصادف ارملة لها ملء كف من الدقيق وقليل من الزيت ، وهي تفتش عن عودين لتعمل قرصاً لها ولابنها ليأكلا ويموتا ، فانقذهما بعجيبة ذكرتها التوراة · وحدث بعد ذلك جوع تنبأ عنه اليشع تلميذ ايليا دام سبع سنوات ·

وتتابعت بعد ذلك في اوقات متباينة من التاريخ مجاعات مثل هذه ذكرها الموءرخون ولم تكن تعم البلاد بل انحصرت في بعض اقسامها مسببة

عن قحطٍ موقت ، او حروب اهلية ، او حصارات محلية . ولم يكُ ما يستحق الذكر حتى حدث عام بؤس شديد الوطأة في صدر التاريخ الاسلامي عقيب افتتاح العرب سوريا بقليل عَلَى ايام عمر بن الخطاب . وهو العام الثامن عشر للهجرة ويدعوه مؤرخو الاسلام « عام الرمادة » لان الريح كانت تسفي تراباً كالرمادة . واصاب الناس فيه مجاعة شديدة وجدب وقحط . واشتد الجوع في كل مكان وفي الحجاز خصوصاً حتى جعلت الوحش تأوي الى الانس ، وحتى صار الرجل يذبح الشاة فلا يجد فيها بعد سلخها سوى عظم أحمر . وزاد هول المجاعة طاعون شديد اشتدَّت وطأته في سوريا وهو المعروف في التاريخ باسم « طاعون عمواس » فكاد الناس ان يتفانوا منه ومكث شهوراً فمات فيه من جيوش المسلمين المرابطين في سوريا ٢٥ الفاً . وفي جملتهم القائد الشهير إبوعبيدة بن الجراح الذي كان أمير البلاد

وفي السنة الـ٧٩ للهجرة أصاب سوريا طاعون شديد في خلافة عبد الملك بن مروان الاموي فكاد ان يفني اهلها . وبسببه لم تستطع الجيوش ان تتحرك لغزو الروم .

وفي السنة الـ٩٨ للهجرة عَلَى ايام سليمان بن عبد الملك الاموي حدثت زلازل كثيرة متتابعة سببت اضراراً جسيمة وأذى للناس ودامت ستة اشهر

وفي سنة ١٠٨ ﻫ . في خلافة هشام الاموي كان بسوريا طاعون شديد

وفي سنة ٢٤٢ للهجرة (٨٥٧ م) في خلافة المتوكل العباسي حدثت زلازل هائلة فهدمت المباني وهلك تحت الانقاض خلق كثير ورافقها خسف

واصوات منكرة .

وفي سنة ٢٤٥ ﻫ (٨٦٠ م) زلزل شمالي سوريا فسقط في انطاكية وحدها الف وخمسمائة دار وسقط من سورها نيف وتسعون برجاً وتقطع الجبل الاقرع فسقط قسم منه في البحر وغارت انهار برمتها فلم يعلم اين ذهبت . وأصيبت اللاذقية اكثر من سواها فلم يسلم من اهلها الا اليسير وهلك اهل جبلة .

وفي سنة ٢٦٦ ﻫ (٨٨٠ م) عَلَى ايام المعتمد العباسي انتاب البلاد قحطاً شديد فعمَّ الغلاء سوريا وغيرها من الاقطار المجاورة

وفي سنة ٤٢٣ ﻫ (١٠٣٢ م) كان قحط عام وتبعه وباء عظيم فاصيبت سوريا وجاراتها العراق ومصر والموصل وامتد الويل الى خراسان فروي ان اربعين الف ميت دفنوا في مدينة اصبهان العجمية وحدها في بضعة ايام ولم تخلُ دار في الاقطار المذكورة من مصيبة ، لعموم المصائب وكثرة الموت

وفي عام ٤٢٥ ﻫ (١٠٣٤ م) انتابت الزلازل بلاد الشام فانهدم ثلث المنازل في اكثر البلدان وهلك خلق كثير تحت الردم . وزاد في الطين بلة انتشار داء الخوانيق فمات به كثيرون حتى كانت الدار يُسد بابها لموت اهلها

وفي سنة ٤٤٠ ﻫ (١٠٤٨ م) كان وبآء وجوع في سوريا

وفي سنة ٤٥٥ ﻫ (١٠٦٣ م) كانت زلزلة عظيمة خربت كثيراً من البلاد وسقط فيها سور طرابلس .

وفي سنة ٤٦٩ ﻫ (١٠٧٦ م) كان وبآء عظيم جارف . وكان الموت

كثيراً حتى بقي كثير من الغلات في الحقول ليس لها من يعملها ·

وفي سنة ٤٧٩ و٤٨٤ و٤٨٧ ه (١٠٨٦ و١٠٩١ و١٠٩٤ م) اعادت الزلازل الكرة عَلَى سوريا فهدمت فيها بلداناً كثيرة ففارق الناس مساكنهم الى الصحراء هرباً ومن لم يهرب هلك تحت الردم ·

وفي سنة ٥١٨ ه (١١١٤ م) حدثت مجاعة سببتها انقطاع الامطار بقلت الاقوات وغلت الاسعار غلاءً فاحشاً · ودام ذلك سنة

وفي سنتي ٥٣٢ و٥٣٣ ه (١١٣٧ و١١٣٨ م) حدثت زلازل عظيمة متوالية فخربت بلاداً جمة ولاسيما حلب ، فان اهلها فارقوا بيوتهم وخرجوا الى الصحراء · وعدوا ليلة واحدة جاءتهم الزلزلة فيها ثمانين مرة

وفي سنة ٥٥٢ ه (١١٥٧ م) كان بسوريا زلازل كثيرة قوية فدمرت بلاداً كثيرة وهلك فيها ما لا يحصى من البشر · وخربت بلداناً بالمرة منها حماه وحمص وشيزر وكفرطاب والمعرة وافامية وحصن الاكراد وعرقة واللاذقية وطرابلس وانطاكية · ومما يروى عن كثرة القتلى في هذه الزلزلة ان معلماً بمدينة حماه فارق مكتبه لمهمة عرضت له فجاءت الزلزلة فخربت المدينة وسقط المكتب عَلَى الصبيان جميعهم · قال المعلم ، فلم يأتِ احد يسأل عن صبي له في المكتب ·

وفي سنة ٥٦٥ ه (١١٧٠ م) عادت الزلازل فنكبت سوريا وتتابعت بهول شديد لم يرَ الناس مثله وخربت مدينة حلب كلها ·

وفي سنة ٥٧٤ ه (١١٧٩ م) عمّ القحط البلاد فحدث غلاء فاحش وجوع

شديد · وتعذرت الاقوات فأكل الناس الميتة وما شابهها ودام ذلك سنة ونيف ثم تبعه وبآء عام كثر فيه الموت · وكان مرض الناس واحداً وهو السرسام · فلم يكن من يدفن الموتى ·

وفي سنتي ٥٩٦ و٦٠٠ ه (١٢٠٠ و١٢٠٤ م) عاودت الزلازل سوريا فأثرت في البلاد أثاراً قبيحة ولا سيما بدمشق وحمص وحماه ومدن الساحل

وفي سنة ١٤٠٠ م حدثت اعظم نكبة اجتاحت سوريا حتى هذه الايام وهي شبيهة بالنكبة الحالية من حيث تعدد أهوالها وشدة وطأتها · فقد اجتمعت فيها ويلات الحرب والقحط والجراد والجوع والوبآء · وابتدأت بقدوم تيمورلنك التتري وجيوشه الى البلاد فكان ذلك مقدمة البلاء لان هذا الاعرج الحديدي كان ذا قلبٍ لا يعرف الشفقة فخرب المدن واحرق المعاهد العلمية والمساجد وأسر الوجهاء والادبآء ومشاهير رجال الصناعة فساقهم معه فخلت سوريا منهم · وامعنت جيوشه في البلاد قتلاً ونهباً وارتكبت الفظائع وقتلت الشيوخ والاطفال وسبت النساء · وقبل ان يرحل تيمورلنك عن سوريا لمقاتلة السلطان بايزيد التركي جآء الجراد فأتلف النبات والاشجار فحصلت مجاعة هائلة وجآء الوبآء ثالثة الاثافي فاجتمعت الضربات المريعة في وقت واحد ·

وفي سنة ١٥٠٣ م عَلَى ايام الملك قانصوه الغوري قبيل فتح السلطان سليم التركي سوريا جآء سيل عظيم دام ٢٧ يوماً فكانت منه مضار لا تحصى · وطغى نهر العاصي وبردى وانهر لبنان فاتلفت واهلكت وسببت للسكان

اضراراً فاحشة ·

وفي سنة ١٥٧٩ م عَلَى ايام السلطان مراد حدث جوع سببه القحط وتبعه طاعون مات به كثيرون ·

وحدثت في اوقات مختلفة نكبات طفيفة غير التي ذكرناها من زلازل واوبئة محلية وضيقات ناتجة عن حروب لم تخلُ منها سوريا جيلاً

هذا ملخص ما استطعنا ايراده من نكبات سوريا · واكثرها ناتج عن قحط او وباء ولكنها كلها اذا جمعت الى بعضها ليست لتذكر بازاء النكبة الهائلة المخيمة الان فوق تلك الربوع القديمة ·

اسباب النكبة الحالية في سوريا

نستطيع ان نعزو النكبة الحاضرة في سوريا الى سبب واحد هو الحرب· ولكن بلاداً كثيرة اصيبت بهذه الحرب الزبون وذاقت بلاياها من موت وهلاك وتدمير ومع ذلك ترى تأثير النكبة فيها قليلاً يكاد لا يظهر، وذلك لاستعدادها وتأهبها لمقاتلة الشدة ولتعاونها عَلَى مدافعة النكبة · اما سوريا فهي، وان كانت حتى الان متنكبة عن ميادين القتال، فقد ذاقت اشد البلايا وتجرَّعت كأس النكبة دفعة واحدة فلم يماثلها في ذلك قطر من الاقطار للاسباب الآتية —

اولاً · لما زجت تركيا نفسها في غمار هذه الحرب لم تكن جيوشها مستكملة المعدات من حيث الاكسية والاقوات فحجزت السلطة العسكرية كل ما توصلت اليه في سوريا من الاقوات والاشياء اللازمة للجنود فلم

يبقَ في البلاد ما يكفي لحاجاتها، فقلت سائر الاشياء الضرورية كمواد الوقود والحاصلات الزراعية والزيوت والمواشي والزاد والاقمشة، وارتفعت اسعارها ارتفاعاً فاحشاً ·

ثانياً · ساقت الحكومة للخدمة في الجيش كل الصالحين للعمل من شبان وكهول، ولم تترك في البلاد غير الشيوخ والاطفال والنساء، فلم يبقَ ما يكفي لاستغلال الارض وتعاطي الصنائع · واصبحت العائلات خلواً ممن يعيلها · فاشتدت فاقتها ·

ثالثاً · انقطعت الواردات التي كانت تأتي من اوربا وغيرها ولم تكُ البلاد تستغني عنها · وقد سبب ذلك النطاق الذي ضربه الاحلاف حول سوريا بحراً · فقلَّ البترول والسكر والاقمشة وما شاكل وعزَّ عَلَى الاغنياء اقتناءها فكيف بالفقراء ·

رابعاً · اضطرَّ كثير من الشبان الذين هم ركن عائلتهم الوحيد ان يفتدوا انفسهم من الجندية مراراً فكانوا يدفعون آخر بارة عندهم وربما رهنوا بيوتهم او استدانوا من المرابين ليتمكنوا من البقاء في بيوتهم لاعالة اهلهم فقلَّ بذلك المال · واصبح الواحد منهم يهلك نفسه في العمل ليتمكن من اسكات المرابي وسد حاجات العائلة الضرورية

خامساً · زحف الجراد عَلَى قسم كبير من البلاد وكانت المزروعات في الحقول فألتهمها وراح بآخر امل كان الاهلون يعللون انفسهم به

سادساً · تفشت الاوبئة المتعددة في جهات القطر كله فاضافت الى الجوع

والخوف شدة · وحبست الناس عن الاهتمام باعمالهم

سابعاً · وقفت حركة الاشغال في البلاد فانقطعت اسباب الرزق عن التاجر والعامل واصبح اكثر العمال بطالين وليس لهم مورد ينفقون منه عَلَى عيالهم ولا من يقرضهم في هذه الازمة الشديدة فزاد ذلك في الطين بلة

فهذه الاسباب وسواها من الامور السياسية اوسعت المجال للنكبة في ربوع سوريا فقاسى الناس المضض ولا سيما في الشتاء الماضي اذ بات اكثرهم بلا وقود ، ولا طعام سوى اردأ اصناف الدقيق فكان المنكوبون يموتون — بعضهم بالجوع ، وبعض بالحمى التيفوئيدية وبعض بالدوسنطاريا ، وغير ذلك من الاوبئة ، حتى قيل ان ثمانين الفاً ماتوا في جبل لبنان وحده

اخبار النكبة

وردت اخبار النكبة الى المهجر اولاً من مصر الى الجرائد السورية في نيويورك فلم يصدقها كثيرون وعدوها مبالغة مقصودة لمآرب سياسية · ولكن الامر ما عتم ان تثبت عقيب ورود رسائل خصوصية الى افراد من المهاجرين تنم عن وجود النكبة بصراحة رغم تحفظ المراقبين · وازداد الخبر وثوقاً عندما عاد الى نيويورك بعض المرسلين الاميركيين من سوريا ، فرووا ما شاهدوه بام عينهم مما لم يترك مجالاً للشك وزاد الخبر تأكيداً ما ترويه جرائد سوريا من وقت الى آخر بتحفظ كلي عن اخبار الوباء والجوع ، فيرى القارىء بين سطورها المختصرة اخباراً ضافية هائلة عن ويلات مريعة قد انغمس في غمارها الشعب السوري ففاقت نكبته كل نكبة

وقد آثرنا ان ننقل بعض ما نعتقد به الصحة من مرويات الجرائد في وصف النكبة · وفي ما ننقله اخبار تصور فظائع النكبة باجلى بيان وتؤثر حتى في الجلاميد ·

وصف شاهد عيان

جآء في جريدة « المقطم » تعريب رسالة ظهرت في جريدة التيمس لسيدة اميركية معروفة موثوق بكلامها وقد قدمت من سوريا مؤخراً ، نقتبس منها ما يأتي —

سوريا تتضور جوعاً

ان سوريا تتضور جوعاً · وليس قولي هذا مجازاً ولكنه حقيقة لا مراء فيها فقد غادرناها منذ شهرين وكنا ستة اثنين من ارمينيا واربعة من سوريا · وخمسة اميركيون والسادس يوناني · فاجتزنا جميع بلدان اوربا المحاربة ورأينا فيها مناظر احب شيء الينا ان تمحى عن اذهاننا ولكن كل ما شاهدناه فيها لا يقاس في فظاعته بسوء الحال في تركيا الاسيوية · وان قلمي ليعجز عن وصف تأثير الحرب في تلك البلاد فأقتصر عَلَى بعض الامور الاجمالية مما وقع تحت نظري في العامين الماضيين ·

بدء تأثير الحرب

لم تكد تضطرم الحرب حتى حصرت الحكومة الفرنسوية الشواطىء حصراً بحرياً شديداً فانقطع اتصال سوريا بسواها واضطرت الى الاعتماد عَلَى مواردها · ولا يخفى ان محاصيل البلاد تكفي لاطعام اهلها واضعافهم ·

ففي العام الاول لم تشعر البلاد بحاجة الى الطعام ولكن نقصتها البضائع والمصنوعات والاطعمة الاوروبية • نعم ان كثيرين عانوا مرارة الفاقة بسبب تعطل الاعمال ولكن الاموال الطائلة التي تبرعت بها جمعية الصليب الاحمر الاميركية مكنتنا من توزيع الدقيق عَلَى المحتاجين اسبوعياً وتشغيل عدد كبير من الرجال والنساء بلا انقطاع فكان الرجال ينظفون الشوارع ويرممون الطرق ويبرهنون بذلك للبلدية ما تستطيع القيام به من هذا القبيل والنساء يعملنَ في خياطة الثياب والتطريز والدنتلا (الارلند والكروشه) فانقضى الشتاء (شتاء ١٩١٥) بصعوبة ولكن من غير ان يبلغ الضيق حد اليأس وكنا ننتظر الفرج بحلول فصل الربيع •

غزوة الجراد

ولكن الربيع بدلاً من ان يأتينا بالفرج جاءنا بالجراد • ان ذكرى الجراد منقوشة في قلبي فلا استطيع ان اذكره او اصف فتكه من غير ان يعتريني قرف شديد •

لما جاء الجراد لم نعبأ به في اول الامر بل اخذنا نتأمله كما يتأمل المرء المنظر الجديد غير المألوف ورأينا الناس حولنا يقصدون الحقول والبساتين وهم يقرعون الصفائح ويصيحون ليخيفوا الجراد ويمنعوه من النزول الى الارض ورعي ما فيها وكانت ارجاله خفيفة في اول الامر في كل قدم مربعة نحو ٢٠ جرادة وهو في طبقتين •

وفي الصباح التالي خرج الجراد من مبيته قبلنا وصرنا نرى ارجاله كأنها

قطع مرصوصة رصاً وقد أكلت اغصان الشجر في الجنائن وبراعم الازهار وظلت الحال عَلَى هذا المنوال اسبوعاً ثم استقرَّ الجراد عَلَى الرمال الواقعة بين شاطئ البحر واسناد الجبل المخصبة فغطى تلك البقاع وكساها ثوباً اسود ضارباً الى الصفرة • وهناك باض الجراد ومات •

الهمة واليأس

فأدركنا الآن ان الضربة القادمة ستكون شراً من الاولى واخرجت جمعية الصليب الاحمر مئات من الرجال والصبيان للبحث عن البيض واستخراجه فجاءوا بألوف الاكياس المملوءة به واتلفوها ولكن عَلَى غير جدوى فان البيض الباقي نقف بعد مدة وجيزة واخذ الدبى (صغار الجراد) يزحف كأنه جيوش من النمل الكبير الاسود واجتاز الرمال الى الحقول فلم يترك حقلاً الا بعد ما ألتهم كل خضراء فيه من عشب وادغال وشجر حتى لحاء الاشجار وكان الجراد اذا دنا من قرية استقبله اهلها بمنتهى العزيمة لان الناس صمموا عَلَى افراغ منتهى الجهد في صون مزروعاتهم التي هي طعام عائلاتهم في فصل الشتاء فكانوا يقيمون السياجات من الشوك والعليق حول الحقول ولكن الجراد لم يعبأ بهذه الاحتياطات بل واصل الزحف وهو يلتهم الطري ويقضم اليابس فاذا لم تجد الجرادة امامها ما تأكله اكلت جارتها •

ولما بلغ الدبى سياجات الشوك التي تقدم ذكرها تسلقها بعضه واخترقها الباقي فاجتمع الناس واضرموا النار في تلك السياجات فحرقت ملايين من الجراد ولكن هذه الملايين تلاها الوف الملايين وهي تزحف فوق النار والرماد

والجراد المحروق فاذا احترقت هي عقبها غيرها فاقام الناس سياجات جديدة واضرموا النار فيها واخيراً نفد الشوك والعليق ولم يفنَ الجراد

ألتهام المحاصيل

ولما انقضى شهر تموز كان الجراد قد بلغ اشده وصار يطير بعد ما ألتهم كل محصول الزيتون وكل محصول العنب في لبنان وجنوب سوريا واكل جانباً من محصول القمح في شمال سوريا ولكنه لم يلتهمه كله وفتك بالثمر ولكن الرجاء ظل معقوداً بسلامة بعضه ·

هذه كانت حالة البلاد لما حلّ فصل الخريف سنة ١٩١٥

المجاعة

ولما حلّ فصل الربيع اخذنا نسمع بحوادث الموت جوعاً فكان الناس ينطرحون في الشوارع وهم غائبون عن الصواب لشدة الجوع فينقلون الى المستشفيات وكنا نرى النساء والاولاد منطرحين في الطرق وقد اغمضوا عيونهم وعلت صفرة الموت وجوههم وصار الناس يبحثون في زبالة البيوت عن قشور البرتقال والعظام القديمة وغيرها من الفضلات ويأكلون ما يجدون منها بمنتهى الشراهة وكانت النسآء تخرج الى الخلاء للبحث عن الاعشاب التي تؤكل · وتوالت اخبار السوء في المدينة وروي ان كاهن احدى قرى الجبل نزل الى قرية اخرى طالباً من رجالها المعونة علَى دفن الموتى المنطرحين في شوارع قريته وبلغنا من مصدر جدير بالثقة انهم عثروا علَى اناس في جرود كسروان اكلوا لحم البشر ! »

﴿ بعض ما تروي به صحف البلاد ﴾

ويظهر ان هول النكبة تطرق الى قلوب محرري الصحف الوطنية في سوريا فألانها فلم يستطيعوا ان يسكتوا رغم تكتمهم الشديد امام ضغط المراقب الحربي فكتبوا ما يدرك منه القارىء بعد مطالعته مبلغ الويل

قالت جريدة المقتبس الدمشقية

« فهم من بعض الاطباء الرسميين في دمشق ان الحالة الصحية تحسنت الى درجة بتنا نؤمل معها زوال المرض (الوباء) عما قريب بحول الله تعالى»

وقال ايضاً — « مما يدخل الوهن الى القلوب وتأباه الطباع البشرية مرأى بعض المرضى ملقين في الشوارع العامة وعليه نلفت انظار عطوفة رئيس البلدية ورجال الصحة للتشديد علَى المهملين في هذا الامر

ذكرت هذا جريدة البلاغ البيروتية وعلقت عليه « نقلنا هذا الكلام لايقاظ رجال بلديتنا ايضاً الى الاهتمام بمثل هذه الامور فان بلدتنا لم تخلُ من مثل هؤلاء المرضى الملقين في السبيل »

وقالت الجريدة نفسها « الامراض كثيرة والوبآء منتشر في بعض البلاد وهو سريع السريان والعدوى فاذا لم نحتط له تمام التحوط فلا يلبث ان يفد علينا بخيله ورجله »

ونشرت احدى تلك الجرائد قصيدة لشاعر وطني يمتدح بها القائد العام في سوريا في شهر رمضان ويذكر فيها ما انتاب قومه من الجوع والشدة ويعرض بالمحتكرين والظالمين بشجاعة · وقد اخترنا منها نشر الابيات الآتية

تخيرت لي شهر الصيام ذريعة … اليك فبعض الجوع فيه تعاني
تمنيت لو صحَّ التفاهم بيننا … فيغنيك عن هذا السماع عياني
وتسمع دقات القلوب قريبة … فتعلم شأن البائسين وشاني
وتشهد حوليك العفاة ، فمائت … وحي كميت من ضنى وهوانِ
عيال قيام عند بابك خشع … وانت أب يحتاجه الثقلانِ
ازل حيف ارباب الغنى واحتكارهم … فهم شر خصم في بلادك ثانِ
وأدرك بنعماك البلاد فقد مشى … بها الجوع والاملاق يصطحبانِ
اذا صمت فارحم من يصوم حياته … وان تفطر اذكر عادماً لخوانِ
يبيت الدجى طاوٍ ويسحر طاوياً … فيغتاله عند الضحى الحدثانِ

. .

فلم أرَ قبلاً مجرماً نال رفعةً … واكليل فخر باهر اللمعانِ
ولا قاتلاً اخوانه عن طماعة … يمجده التاريخ كل أوانِ
ولم أرَ كالسفاح يقرع صدره … اذا قام يدعو ، وهو اكبر جانِ

وهذه الابيات بما تكنه وتنم عنه كافية لرواية كل حديث النكبة ، ولا سيما اذا علم القارىء انها صادرة عن قلم شاعر لا يستطيع ان يقول كل ما يعلمه وسيف النقمة مصلت فوق رأسه ·

ولو شئنا ان نفيض في وصف النكبة فننشر بعض ما تذكره الرسائل الواردة عَلَى المهاجرين من ذويهم في الوطن وما تصرح به من امر النكبة لضاقت بنا المجلدات · ولذلك نقتصر عَلَى القليل الذي اوردناه من اقوال

الجرائد ، ففيه بيان كافٍ

السعي في المهجر

هاجت هذه الاخبار المحزنة اشجان المهاجرين السوريين النائين عن اهلهم البائسين · وصوَّر شعورهم لهم قومهم يقتل شبانهم وكهولهم في ساحة الوغى ويموت شيوخهم ونساوءهم واطفالهم بالجوع والاوبئة السارية ، فلم يستطيعوا ان ينظروا الى مصاب اخوانهم ساكتين فهبوا لمساعدتهم لينقذوا البقية الباقية من الامة المنكوبة التي احتملت مصابها بالصبر · فألفوا في القاهرة ونيويورك لجنتين رئيسيتين تفرع منهما في اكثر بلدان المهاجر لجنات محلية لجمع الاحسان من السوريين وسواهم · واثارت أخبار النكبة حنان الاميركيين فألفوا في نيويورك لجنة لاغاثة السوريين والارمن فاظهرت من السعي الحميد ما يوجب عَلَى كل سوري صادق الوطنية ان يقر بفضل اميركا التي لعبت دور ملاك الرحمة في هذه الايام العصيبة فاتقنته ، وأنارت بحنانها الاماكن التي سرت فيها غياهب البوءس ·

منشور الرئيس ولسن

ومن المآثر الحميدة التي يسطرها التاريخ بالشكر والاعجاب ان وودرو ولسن رئيس الولايات المتحدة نظر بعين الشفقة الى مصائب الشعبين السوري والارمني فاصدر منشوراً يعين به يومين يبيح بهما جمع المال من الاميركيين في كل انحاء الولايات المتحدة لاعانة السوريين والارمن المنكوبين وهذا تعريبه ملخصاً —

« لما كان قد بلغني قرار مجلس الشيوخ الصادر في ٧ تموز سنة ١٩١٦ ومفاده — تقرر بداعي ما يقاسيه الشعب السوري من العذابات ان يعين رئيس الولايات المتحدة يوماً تُحرِّك فيه عواطف الاميركيين وتُعطى لهم فرصة لاظهار هذه العواطف والتبرع لاعانة الشعب السوري

ولما كان قد صدر قرار آخر من مجلس النواب في ١٨ تموز سنة ١٩١٦ ومؤداه — بالنظر الى الشقاء والتعاسة والصعوبات التي يعانيها الشعب الارمني يُلتمس من رئيس الولايات المتحدة ان يعين يوماً يتسنى فيه للمواطنين من الولايات المتحدة اظهار عواطفهم بالتبرع لاعانة الارمن في البلاد المحاربة

ولما كنت واثقاً بان شعب الولايات المتحدة سينهض لمساعدة هذه الشعوب المنكوبة بالحرب والجوع والامراض

فانا ، وودرو ولسن ، رئيس الولايات المتحدة ، بناءً على طلب مجلس الشيوخ والتماس مجلس النواب اعين يوم السبت الواقع في ٢١ تشرين اول ويوم الاحد الواقع في ٢٢ منه سنة ١٩١٦ ليجود فيهما شعب الولايات المتحدة بتبرعاته اعانة للسوريين والارمن المنكوبين

صدر في مدينة واشنطون في هذا اليوم الواقع في ٣١ آب سنة ١٩١٦ مسيحية الموافقة لسنة ١٤١ من استقلال الولايات المتحدة »

(الختم)

الامضاء — وودرو ولسن الرئيس

واحتراماً لامر الرئيس وزَّع مجمع الكنائس العام في اميركا اذاعة على

عموم الكهنة الاميركيين يحثهم فيها على جمع المال في الكنائس لاعانة اخوانهم السوريين والارمن نهار الاحد ، أي اليوم الثاني من اليومين اللذين عينهما الرئيس .

يوم صوم

ونشرت اللجنة السورية النيويوركية اذاعة عامة على صفحات الجرائد العربية تدعو بها السوريين الى صوم يوم حداداً على الالوف الذين ماتوا من اخوانهم ، وليذوقوا متى صاموا طعم الجوع ولو قليلاً فيشاركوا فيه بعض المشاركة اخوانهم الجائعين الباقين في قيد الحياة . وتقرر ان يكون ذلك نهار الجمعة السابق يومي الاعانة المعينين من قبل الرئيس

فصام كثيرون من السوريين في هذا اليوم . وكرَّسوه للتأمل بحالة وطنهم البائس . وقدموا ما توفر لديهم من المصاريف في ذلك النهار الى اللجنة السورية تزكية عن نفوسهم فكان لعملهم صدى بليغ وتأثير عميق في قلوب الناس ، ولا سيما الاجانب

يوما الاعانة

ولما جاء يوما الاعانة المخصصان من قبل الرئيس خرج السوريون والارمن رجالاً ونساء من قبل لجانهم يستندون أكف المحسنين على زوايا الشوارع وفي محطات القطارات واماكن العمل فجمعوا مقداراً كبيراً من المال يشهد بسخاء الاميركيين وحنانهم . وقد أظهرت السيدات السوريات في مدينة نيويورك وسواها غيرة شديدة وتضحية واقداماً في هذين اليومين

اذ برزنَ من خدورهنَّ وخرجنَ يجمعنَ الحسنات في الشوارع والمخازن ومكاتب التجار غير مباليات بما يعترضهنَّ من تعب وتثبيط عزائم . فسالت اقلام الكتاب تخط لهنَّ الثناآء وفاضت قرائح الشعراء اعترافاً لهنَّ بالجميل

فقال ايليا ابوماضي —

لله ، ما أحلى ، وما اجملا　　ان تنصر المسكين ذات الحلى
ان التي تقتل اجفانها　　أبت علَى البائس أن يُقتلا
فاقبلت تبذل أموالها　　وتسأل المثري ان يبذلا
في الله مسعاها واحسانها　　فهكذا الغيد والا فلا

وقال رشيد أيوب

غداً تُشرق الشمس فوق الربوعْ　　وتجتاز ارض البكا والعويلْ
وتخبر كيف بلاد الدموعْ　　تحيّي اللواتي صنعنَ الجميلْ
هناك بعيداً وراء البحورْ　　عيونٌ تشقُّ اديم الاثيرْ
وترنو الى صاحبات الشعورْ　　بحزنٍ مذيبٍ وقلبٍ كسيرْ
هنالك في الشرق حيث النواحْ　　وحيث النهار كليلٍ بهيمْ
سيظهر لطفٌ كشمس الصباحْ　　وعطفٌ يسابق جريَ النسيمْ
هناك ستزهو بُعيد الذبولْ　　نفوسٌ تجنّى عليها الزمانْ
وتنبت ما بين تلك الطلولْ　　زهورٌ غُرسنَ بايدي الحنانْ
فيا ريحُ ان جئتِ ارض الشآمْ　　وعجت بلبنان وقت السحرْ
فقولي سلامٌ والف سلامْ　　علَى من تواروا بتلك الحفرْ

ملائك الرحمة والحنان

وقال فريد غصن

من اجل سوريا الشقية اسرعت
تبغي التسوّل بكرةً واصيلا
ومشت في الشمسِ المنيرة في الضحى
للخير انّ الخيرَ كان دليلا
هي غادة زان الوفاء جمالها
لا تبتغي من فعلها التبجيلا
لم تنسَ في ارض المهاجر موطناً
عبث الزمانُ به فصار ذليلا
قالت لاهلِ الغربِ ان بلادنا
امست بها الدورُ الحسانُ طلولا
فاعطوا بلادي الخبزَ كي تحيا به
فهي التي اعطتكمُ الانجيلا

نجاح اللجان

أكد العارفون ان سعي اللجان السورية في مصر واميركا سيسفر عن جمع مبلغ لا يقل عن نصف مليون دولار . وما أقل هذه القيمة امام عظمة النكبة ! اما اللجنة الاميركية فقد تجمع بضعة ملايين ، ولكنها ستخص ارمينيا بقسم كبيرٍ منها . وهي الان مهتمة ببسط يد حنانها سريعاً لتدرك سوريا قبل ان يهبط الشتاء فيزيد بويلاته بؤس المنكوبين ، وآخذة في تجهيز باخرة

مملوءة بالاقوات والثياب لتسير الى بيروت فتصل قبيل عيد الميلاد وهنالك يتعاون الصليب والهلال الاحمران على توزيع ما فيها وتخفيف وطأة الويل عن الالوف .

من حمى الرغد الى مملكة الاسى

بينا العناصر المتطاحنة والجبابرة المتعاركة تدك معاقل المدنية وتهدم صروح الانسانية نرى يد الرحمة تمتد من وراء البحار لتواسي الحزين وتخفف عن المدنف وتشبع الجائع وتريح العاجز وتكسو العاري . فدعوا السياسة واطماعها والحرب ووقائعها وهلموا بنا نصغي الى انين البائسين وصراخ المنكوبين . وتعالوا ننضم الى جيش الرحمة لننقذ بقية امتنا . نحن لا نستطيع ان نعيد القتلى الى الحياة ولا ان نعوض ارواح الهالكين في النكبة ، ولكننا نستطيع ان نوقف تيار البؤس — نستطيع ان نكسو العاري ونطعم الجائع ونداوي المريض .

فالى الاعانة ، يا اهل المروءة ! أسرعوا قبل ان يفوت الاجل ويصبح شعبنا رفات بالية ، فتنظر الينا الشعوب باستهزاء قائلة — « هوذا بقايا قوم هلكت امتهم لانهم لم يمدوا اليها يد الاسعاف » ان الجوع والوباء والخوف تحصد قومكم وانتم آمنون . ان الوفاً من الايدي الضئيلة تمتد اليكم متضرعة مستعطية . ومن منكم اذا سأله ابنه خبزاً يعطيه حجراً ؟

وقاكم الله من أن تذوقوا طعم الجوع المدقع . فقد قال ماثيو ارنولد — « ان الذين يهلكون بالجوع يموتون قيراطاً فقيراطاً »

زنبقة الغور

رواية اجتماعية متتابعة

﴿ بقلم ﴾

— ملخص ما نشر سابقاً —

فرّت ساره من بيت ابيها الجمّال في مدينة جنين لحادث اصابها واضغط زوجة ابيها عليها وظلمها . فاقامت في قرية في مرج ابن عامر لتستر عارها ريثما ينقضي امرها . فولدت طفلاً ميتاً ثم رحلت تقصد ابن بلدها المعلم الياس بلان في قرية صفوريه فعلمت انهُ غادرها وترهب في الناصرة فقصدته في ديره طالبة مساعدته فوضعها في الدير تخدم . ثم استهواها فاستسلمت اليهِ وفرّ بها من الدير الى قرية كفر كنا وقد وعدها ان يتزوجها ولكنه تركها هنالك غادراً بها وهرب الى لبنان . فوضعت ساره بنتاً وجاءت بها الناصرة فنبذتها عند باب دير الايتام . وراحت تفتش عن خادعها في لبنان وسوريا فلم تجده فعادة بعد سنين طويلة الى الناصرة فراها القس جبرائيل مبارك في باب ديره فارتعش وعرف بها الفتاة التي اغواها في صباه يوم كان ابوها جمالاً يخدم اباه في جنين . فكتمها نفسه ورق لها فادخلها الدير لتخدم فيه . وهنالك تعرفت بفتاة تدعى مريم تخدم في دير الايتام نخنت لها جوارحها . وبينما ساره نائمة اثناء رعيها المواشي لدغتها حية واشرفت على الموت . فاستدعت القس جبرائيل واعترفت له وتوسلت اليه ان يستدعي مريم لتودعها واوصته ان يسأل عن اصلها ويعتني بها فوعدها القس خيراً وكشف لها نفسه مستغفراً عما جناه عليها في صباها . ووضع القس مريم تحت عنايته حسب وصية ساره فسالها عن حياتها في الدير فشكت اليهِ ما تقاسيه هنالك من الضغط . فرقّ لها وذهب الى دير الايتام نخابر الرئيسة بشأنها وخرج حانقاً مستاء مما شاهده من فساد ملاجى الايتام . ولكن مريم لم تستطع احتمال حالتها فهربت من الدير في اليوم التالي ولجأت الى القس جبرائيل فادخلها تخدم في بيت اخيهِ الوجيه يوسف افندي وزوجته الست هند

(الفصل الرابع)

مثل الست هند من النساء تدعى عند العرب الاخصائيين امرأة زَنمرَدَة . ولكننا نكتب لابناء العرب لا لاجدادهم ولجمهور الناس لا للاخصائيين . لذلك نتحرى البساطة في الوصف والتعبير ولكن اللبيب اذا تدبر هذه اللفظة العبلة الرجراجة وحللها يجد فيها الفاظاً عديدة تدل عَلَى ذكاء واضعها وصفات المتصفة بها . كيف لا وفيها « زنى » و « مُرد » و « تمرد » وغير ذلك من مفاتح اسرارها . ولكننا لا نرمي الست هنداً بها لانها تكبر تارة عَلَى بعض معانيها وتارة تصغر عنها . ففي لغتنا وطريقتنا اذاً نحاول ان نفيها حقها .

الست هند ربيبة السويداء وعشيرة الرهابين . كأنها ادركت قول الشاعر . « ولكل شيء آفة من جنسه » فراحت تداوي سويداءها بسود الثياب وسود اللحى . وكانت تتداخل في سياسة الاديرة لسد فراغ في وقتها فتلعب بالرهبان كما تلعب بالقمار وتدخن الاركيلة عند جثة خصمها كما لو كانت تقرأ في ديوان احد شعرائها المحبوبين . وهي آية في الحفظ ترغب بالمطارحة وتحب المكافحة فترمي جليسها ببيت شعر من صفي الدين الحلي او زهير او الفارض فتصرعه وتحرق فؤاده . ثم تزجر الخادمة وتضربها لابطائها بكأس ماء او فنجان كنياك . ولم تكن في الناصرة امرأة تحسن مثلها لعب القمار ورواية الاشعار وسياسة الرهبان وزجر الخدم . والسبب في غوايتها وادوائها ظاهر بسيط . فقد تزوجت صغيرة . وخبرت الحياة

الزوجية صغيرة · وكبرت صغيرة · اجتازت اربع مرات جحيم الولادة قبل ان تجتاز الخامسة والعشرين من سنها · ولم يعش من اولادها غير واحد ربي منعماً · فنشأ مخنثاً · فشب شقياً · تلقن شيئاً من العلوم في كلية من كليات بيروت فدفنه في مواخيرها وقهاويها قبل ان يعود الى بيته · وتعرف برجال الشحنة وزار مرة السجن اتماماً لدروسه · وكان يدمن الخمرة احتراماً لابيه ويقامر حتى الفجر توقيراً لامه

ولقد طالما استلفت القس جبرائيل نظر الابوين الى ابنهما عارف وحذرهما من عواقب امره · فاغفلت الست هند نصيحة سلفها وكرهته لانه لم يكن مثل سائر الرهبان من عباد محاسنها · فلا يحضر مجلسها · ولا يحرق البخور امامها ولا وراءها · وما الراهب في عينها غير باب فرج للمرأة او ستر لسوءتها ومتى كانت المرأة مثلها كريمة المحتد ربيبة المجد ينبغي ان يكون الراهب خادماً لها واذا كانت جميلة ايضاً ففارساً من فوارسها ومجاهداً في سبيلها · ولكن محاسن الست هند ولت باكراً فلم يبقَ منها غير سحر في لحظها · وخلابة في لسانها · وحركة تُغري عند ادبارها

وكان بيتها صورة مجسمة لنفسها · يضج بالامتعة الفخمة النافرة بعضها من بعض · ويمثل في كل غرفة منه مأساة كل يوم · فترى الذوق مذبوحاً عَلَى الديوان · والترتيب مشنوقاً في الدار · والاقتصاد مجندلاً عند قدمي البذخ والاكثار ·

تظل الصورة مثلاً مائلة او مقلوبة عَلَى الحائط شهراً فلا تستلفت نظر

الخادمة اليها ولا تحفل بها · يجد الزائر السكاير مبددة عَلَى الدواوين والطوائل والكراسي فاذا احب اشعال سيكارة تفتش الخادمة ساعة عن علبة الكبريت · ثم تجيء والفوز يتلألأ في وجهها حاملة بملقط صغير جمرة كبيرة · ويدها اليسرى كالصينية تحتها · فتتفتت الجمرة · فتحرق يدها · ثم السجادة ثم الديوان · ثم ثوب الزائر · ولا ينجو من الحريق غير السيكارة السعيدة الطالع · في روض الست هند العاطر يذبل الورد عَلَى صدر امه ويموت · والاواني الصينية الفخيمة في بيتها تئن وتتأوه من الازاهر الاصطناعية فيها · في غرفة الست هند عَلَى مغسلة من الجوز فاخرة تزدحم قناني العطر والطيب · وحناجير الادهان والمعاجين · وعلب المساحيق · والادوية والزيوت لتحسين البشرة وتطويل الشعر · وليس هناك مقراض اظافر او فرشاة اسنان

وهذه امثلة صغيرة من غرائب هذا البيت وسيدته قبل ان دخلته مريم · ولم يمضِ عليها شهران فيه حتى تجلت في ترتيب فرشه وغرفه وامتعته واوانيه روح أنيقة جديدة · وقد احدثت فيه ثورة لا بدَّ من تدوينها وبدعة في غرفة المائدة تستحق الذكر ·

دخلت مريم صباح يوم حجرة سيدتها تحمل باقة من الورد وضعتها في الاناء الذي كان فيه ازاهر اصطناعية ورفعته تبتهج وتقول · أليس الورد يا معلمتي احسن من هذا القماش الوسخ ؟ فاجابتها الست هند · بلى بلى الحق معك · فسرَّت مريم باستحسان سيدتها وأقدمت عَلَى العمل الذي كانت تفكر فيه · ولقد طالما ثار ثائرها عَلَى الزهور الاصطناعية فوجدت

في بيت مبارك ما يكفي لاضرام نار الثورة في سبيل عرائس الحقول وربات الرياض • وكانت تأخذ كل يوم طاقة من تلك الطاقات الكبيرة التي تضيع الواهبات في صنعها وقتهنّ الثمين وتخبئها في غرفتها وتضع في الاناء مكانها اضامة من ازاهر الجنينة ورياحينها ولما خلعت كل تلك العرائس الكاذبة من عروشها جمعتها ذات ليلة عَلَى السطح وسكبت فوقها ابريقاً من زيت البترول ودعت الخادمات رفيقاتها الى الجنازة • ولما حضرن اضرمت في تلك العرمة النار واخذت بايديهنّ فرقصن حولها ضاحكات ومريم تصيح مقلدة اليهود الدوارين : خام وشيت ومقصور !

ولم يغظ هذا العمل الست هند مثلما غاظها قول مريم ان مغسلتها تفتقر الى فرشاة اسنان •

— يقطع عمرك ! وأين رأيتِ انتِ فرشاة اسنان ؟

— عند الرئيسة في الدير • وهي تنظف اسنانها صباح مساء • يا عمري ما اجمل اسنانها !

— اجمل من اسناني يا مريم ؟

— اسنانك يا معلمتي صفراء —

فاكفهر وجه الست هند وهمت بضربها فاستدركت الفتاة قائلة — لا تؤاخذيني ولكن الرئيسة لا تدخن بالاركيلة مثلك • الله يقطع الاراكيل فهي توسخ الاسنان •

— اسكتي • وقحة • ثرثارة !

وبعد ايام رأت مريم فرشاة اسنان عَلَى مغسلة سيدتها فضحكت وقالت في نفسها

— ما احلى معلمتي ! تشتمني وتقبل نصيحتي

والحق يقال ان الست هنداً تحب مريم سراً وتعجب بها • وتكرهها سراً ايضاً وتخشاها • لانها اجمل وابرع خادمة دخلت بيتها • وكانت اذا اثنى زوجها عَلَى الفتاة تسكت او تغير الحديث

— يا هند ما رأيت زماني مثل هذا الترتيب في البيت • فنفرت قائلة

— وما علمك انت بالترتيب • لا تدلع الخدم فيظل البيت مرتباً

فلم يحفل يوسف افندي بما قالت

— وهذه الازهار — جميلة ! جميلة ! كأن الجنينة جاءت تشاركنا بيتنا

— وانت تشارك الكل — هل يجي المطران الليلة ؟

— نعم • وسيجيء رئيس الدير ايضاً • والقائمقام

وذهب يوسف افندي الى محكمته وهو يفكر في الطريق بالفتاة مريم ويمثل لنفسه جمالها وذكاءها وتفننها فيبتسم فؤاده جذلاً واعجاباً •

اصدرت الست هند في ذاك الصباح اوامرها • فجاءت مريم تسأل الطابخة عن العشاء وألوانه فاخبرتها

— والنبيذ —

— وما غرضك من كل هذا — تتدخلي دائماً بما لا يعنيك — روحي الى شغلك

— دخيلك يا لطيفة اخبريني

— يا لطيف يا ستار ! مثل العاده يا بنتي · عرق وسبعلي مر · وقبرصي اصفر · وشمبانيا · خلصيني منك

فراحت مريم الى غرفة سيدها فاخذت من مكتبه قلماً ودواة وطلحيتين من الورق الشبيه بالرق الذي يستخدم في المحاكم واختلت ساعة في حجرتها ولم يدرِ احد بما صنعت · وبعد الظهر رتبت المائدة ترتيباً جميلاً فوضعت باقة من الورد في اناء عَلَى الخوان · وقرنفلتين واحدة حمراء واخرى بيضاء عند كل صحن والى جنبهما صحيفة مثبتة الى قدح تبدو منه فوطة المائدة كالزنبقة البيضاء وقد خُط في تلك الصحيفة بالخط الكنائسي ما يلي —

قالت الحكماء — « من قلَّ طعامه صح جسمه وصفا قلبه »

—(ألوان الطعام)—

الفاتحة — سنموره · قلب ارضي شوكه مكبوس · سلطه بطاطا وبيض · فجل افرنجي · زيتون شامي · عرق زحلاوي مثلث

الدور الاول — شوربة بزلا · سمك مشط بطرطور · باميه خضراء بلحم وارز مفلفل · نبيذ سبعلي مر ·

الدور الثاني — كبه ارنبيه · حجال مقليه ومطرزه بالفطر والبندوره · نبيذ قبرصي اصفر ·

الدور الثالث — روستو عجل تشيعه كماة السنة · سلطة هندباء ورشاد · شمبانيا ُمم ·

الخاتمة — معمول · عيش السرايا · مشمش حموي وخوخ افرنجي

ولما جلس الضيوف الى المائدة اعجبوا باتقانها وترتيبها وادهشت قائمة الطعام حتى الست هند · فقال المطران والقائمة في يده

— هذا شيء جديد عَلَى المائدة العربية يا يوسف افندي

— الخادمة الجديدة يا سيدنا تجيئنا كل يوم بامر عجيب

— وهل هذه اختراعها ؟

— علمي والله علمك · اسألها

فقال القائمقام · لا شك ان الست هنداً —

فقاطعته ربة البيت قائلة — لا · وحياتك · لا علم لي بها

فاوقف المطران مريم وهي تقدم الشوربا وسألها قائلاً

— هل هذا خطك يا بنتي ؟

— نعم يا سيدنا

— ومن علمك كتابة هذه القائمة ؟

— رأيت واحدة بالافرنسية عند الرئيسة في الدير كانت تحفظها ذكراً لمأدبة حضرتها لما كانت في باريس · فخطر في بالي ان اكتب مثلها في العربية فتعرفون منها في الاقل ما يقدَّم لكم

— ولكن عادات المطاعم لا يجري عليها في بيوت الاماجد

— وهذه العبارة · قالت الحكماء

— قرأتها في كتاب · والراهبات في الدير دائماً يرددنها ويذكرن البنات بها · كنا نجوع اكراماً للحكماء ·

— واليوم اخذتِ بثارك منا · ها ها ها ! ما رأيت حياتي اذكى من هذه الفتاة اهنئكِ يا ست هند بها · وانصح لكم يا سادة ان تعملوا بقول الحكماء · يظهر من هذه القائمة ان يوسف افندي يريد بنا شرا

— لا اكراه ايها السيد لا في الدين ولا في الطعام

— ولكنا بشر يا ابني وضعفنا رأس مال ابليس

— انا استعفي من الدور الثاني

— ألتبرهن لنا يا سعادة القائمقام انك حكيم · لعمري ان الحكماء اضعف البشر وابليس يزدريهم ولا يحفل بهم

— الدور الثاني احسن ما في القائمة · هل الحجال صيد اليوم ? · نظر رئيس الدير الى الست هند ولاحت في عينه ابتسامة

— واذا كانت من صيد البارح ?

— عفواً يا ست هند · لا تستثقلي التعنت من راهب معدته عاصية عليه

— وانت دائماً تبرطلها بالمآكل الضخمة

— بل اعاقبها تأديباً لها وانتقاماً منها · ليت الراهب يستطيع ان ينزع معدته قبل دخول الدير ·

(ستأتي البقية)

بدران اخوان

والهجوم الروسي

ان روسيا في هذه الحرب العظمى قد برهنت عَلَى قوة واقتدار كانا كامنين في جسمها الواسع وشعبها الامين · ولا غروَ ان امة أخرجت من احشائها رجالاً عظاماً منهمُ القواد سوفوروف وكوتوزوف ومنشيكوف وسكوبيليف والغراندوق نقولا وبروسيلوف والفلاسفة تولستوي وسولوفيوف وباكونين والكتبة المتفننين تورغينيف ودوستويفسكي وتشيخوف وغوغل والمصلحين العظام بطرس الاكبر وسبيرانسكي وكاترينا الثانية وغيرهم من المشاهير لهي امة جديرة بان تبدو منها القوة الطاحنة

ونحن قد اظهرنا في عالم التجارة من الثبات والقوة ما جعلنا ان ندحر اعظم الصعوبات · وبذلك قد برهنا عَلَى اقتدارنا التجاري كما برهنت روسيا عَلَى اقتدارها الحربي · ونحن مستعدون ان نلبي طلب كل عميل ونرضيه كما ان روسيا مستعدة ان تكتسح بلاد اعداءها ولو بغير رضى · اما بضائعنا المذخورة فهي من قمصان النوم والانفلب شميز والكورست كفر تطريز اليد والوست والكمونا عَلَى اختلاف انواعها والملبوسات النسائية كافة

BADRAN BROS.

78 Greenwich Street New York

محلنا هو

معرض السجاد العجمي والتركي الاصليين وطريقتنا في المعاملة معروفة عند اصدقائنا التجار في السجاد · اما المقدرة فللناس ان يحكموا فيها · وكل ما نقوله اننا نرضي وقادرين عَلَى مرضاة المستقيمين والمجتهدين

—(نعمه تادرس)—

N. TADROSS & CO.,

33 Union Square NEW YORK CITY

الفنون

تشرين الثاني

الجزء السادس

السنة الثانية

AL-FUNOON

AN ARABIC REVIEW OF LITERATURE AND ARTS

Published Monthly by

Al-Funoon Publishing Co.

55 Broadway,

New York

ANNUAL SUBSCRIPTION $5.00

OCTOBER 1916

VOL. II **NO. 5**

"Entered as second class - matter June 16, 1916, at the Post Office at New York, New York, under the act of March 3, 1879"